الإسراء معجزة كبرى

والغرانيق افك مفترى

بقلم

حجازي محمد خليل

استاذ اللغة العربية بالمدارس الأميرية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رجب سنة ١٣٥٨ هـ — سبتمبر سنة ١٩٣٩ م

obeikandi.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلى الأعلى ، ذى الملك والملكوت ، والسلطان والجبروت ، الذى تجلى لخلقه بصفاته وأسمائه ، وتعالى بجلاله من أن تدرك الأفهام كنه حقيقته وتنزه عن أن يشبه شيئاً أو يشبهه شيء ، وتقدس عن المثيل والنظير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وتعالى فى أحديته ، وعز فى عظمته ، فلا كم ولا كيف ولا أين ، لا يحيط به العلم ، ولا تدركه العين ، ولا يحيط به مكان دون مكان ، ونسبة العرش والفرش إليه سواء ، فقد ناجاه يونس فى قاع الماء ، كما ناجاه سيد الأنبياء فى أعلى سماء ، وما كان أحدهما أقرب إليه من الآخر باعتبار المكان ، وما أسرى بعبده لقرب مكان ، سبحانه تنزه عن المكانية والجسمية ، وهو معه حيث كان ، وما السر فى المسرى إلا ليريه جميع مخلوقاته ، ويطلعه على باهر قدرته فى ملكوته وأرضه وسمائه ، وتشهد الملائكة برفيع درجته وعلو مكانته صلى الله عليه وسلم ، ويرتقى به مولاه إلى أعلى درجات العز سبحان ربى الأعلى وبحمده ، وأشهد أنه الإله الكبير المتعالى عن هذه

العبارات ، المتقدس عن أن تُعْلَمَ ذاته بالتصريح والإشارات ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى ما ضلَّ وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، واختصه مولاه دون جميع الأنبياء والمرسلين ، بالإسراء والمعراج وجعله مرآة الذات ومهبط أنوار الخيرات ، صلوات الله تعالى وسلامه على النبى الأمى ، وعلى جميع إخوانه النبيين ، وأصحابه والتابعين وعلينا معهم يارب العالمين .

« وبعد » فإنى كلما قرأت فى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، غرقت فى بحر فضائله وكمالاته ، وشهدت بعلو قدره الرفيع ، وأنه أعرف خلق الله بالله جل شأنه ، وأن الله سبحانه فضله على جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ، فحقيقة فضله صلى الله عليه وسلم لا يدركها إنسان ، ولا يحصيها عد ، ولا يحيط بها الحصر ، وليس فوقه فى الكمال إلا الله .

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيُعرِبَ عنه ناطق بفم

وخصوصياته صلى الله عليه وسلم ما وقفت عند حد ، ومعجزاته فاقت معجزات جميع الأنبياء والمرسلين ، ومهما كانت فهى لا تخرج عن كونها من جملة مقدورات رب العالمين ، وليست إلا تفصيلات لشرح معنى علو قدره المسلم به

عند جميع المؤمنين، فقد أدركوا ببصائرهم من الأسرار والأنوار ما لم تدركه الأبصار، ونحن وإن لم نشاهد من ذلك ما شاهدوه، فقد شاركناهم فى الإيمان بما آمنوا به واعتقدوه ، وليس لهم بذلك مِنَّة عليه ، لأنه منه وإليه ، صلى الله عليه وسلم

كالبحر يمطره السحاب وماله فضل عليه لأنه من مائه

ومن معجزاته الكبرى وآياته العظمى التى أصبح القطع بتواترها حقا وصدقا ، إسراؤه إلى أعلى عليين ، ليشاهد آيات ربه الكبرى ، ويطلع على العالم بأسره أرضه وسمائه ، خصوصية ماناها قبله نبى ولا رسول ، حارت لها الأفهام وأدهشت فلاسفة جميع العالم ، ولم يدرك سرها عالم بعجائب الوجود ، لما حوت من الأسرار العجيبة ، والحكم الغريبة ، والسر المكنون ، والغيب المصون ، ولم يسع الناس اليوم إلا الإيمان بهذا الإسراء جسما وروحا ، والاعتراف بفضل هذا النبى الكريم ، وبأن مسراه معجزة كبرى ، مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية وأكملها ، وقد بينت الشريعة الغراء سر هذا المسرى، وأوضحت حقائقه . وآمن به المؤمنون إيمانا جازما ، وذلك من ألف وثلثمائة وسبعين من السنين ، حتى اخترعت الطيارات الآن، وطوت بعيد المسافات فى أقصر زمن،

محملة بالناس والأثقال ، عابرة البحار والمحيطات والجبال ، فما لهم لا يؤمنون ، وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون ؟ لأن ما كان ممتنعاً عندهم قديماً من باهر المعجزات ومؤيدا بالقرآن العزيز وصحائح الأخبار مصدقا به السلف ، ومجمعاً على تصديقهم أهل اليقين والتحقيق من الخلف ، صار معتاداً برأى العين ومشاهداً فى كل حين ، اللهم إنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول صلى الله عليه وسلم وصدقنا بإسرائه ومعراجه وبكل ماجاء به ، فاكتبنا عندك من الشاهدين ، وها هى ذه رسالتى على إيجازها دالة على تصديق ، فاقبلها منى واجعلها نافعة لجميع المؤمنين والحمد لله رب العالمين ، وقد أسميتها الإسراء لشموله على عروجه والمسرى ، ورؤية الحق كما يبين ، وأتبعتها بنفى حديث الغرانيق ، لأنه إفك مفترى ، وختمتها بهجرته التي هدت أركان الشرك والضلال ، ونشرت نور الحق بين جميع الأنام ، وهدت الناس إلى الإسلام والنهج القويم ، وفتحت على المسلمين الفتح المبين ، فنصرهم الله النصر العظيم ، وأيد رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، وأكمل له الدين (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً) ، ثم اختاره لجنابه فاختار صلى الله عليه وسلم الرفيق الأعلى ، اللهم صل عليه

وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة ، وسلم تسليما كثيراً ، واجعلنا يامولاى من الذين قلت فيهم (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ):

المعجزة

مادة اللغـــــة

عجز يعجز عن الأمر إذا قصَر عنه ، وأعجزه الشيء فاته وسبقه وأعجزنى فلان أى فاتنى وأعجزنى إذا عجزت عن طلبه وإدراكه ، ومعنى معاجزين أى يعاجزون الأنبياء وأولياء الله أى يقاتلونهم ويمانعونهم ليصيِّروهم إلى العجز عن أمر الله ، وليس يعجز الله جل ثناؤه خلق فى السماء ولا فى الأرض ، ولا ملجأ منه إلا إليه .

ويقال فلان يعاجز عن الحق إلى الباطل ، أى يلجأ إليه ، والتعجيز التثبيط ، ومعاجزين معاندين . والمعجزة واحدة المعجزات ، وهى ما أعجز به الخصم عند التحدى والهاء للمبالغة والمعجز ما خرق عادة البشر من خصال لا تستطاع إلا بقدرة

إلهية تدل على أن الله تعالى خص بها من شاء تصديقاً على اختصاصه بما اختصه الله به ؛ ومنه المعجزة وهى الحجة الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فى ادعاء نبوته إذا وجد ذلك منه فى زمان التكليف أما عند قيام الساعة فلا يكون معجزاً وهذه المعجزة يؤيد النبي بها صلى الله عليه وسلم ؛ فيما ادعاه إذ من شأن البشر ألا ينقادوا إلا بظهور برهان وما البرهان إلا الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدى مع عدم المعارضة من المرسَل إليهم بألا يظهر منهم ذلك الخارق فبان لك أن المعجزة هى البرهان القاطع على ثبوت نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

تعريف المعجزة

هى فعل خارق للعادة يخلقه الله تعالى على يد مدعى النبوة معترفاً بدعواه على رءوس الأشهاد وعظماء البلاد مع التحدى ،

ولم يرد لفظ المعجزة فى القرآن الكريم ، ولا فى السنة النبوية ، وإنما فيهما بلفظ البرهان ، والبينة ، والآية ، والآيات ، قال تعالى : (وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ) وقال تعالى : (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ

أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَلونَ) فسمى الله المعجزة بالآية والآيات ، وهى دلائل النبوة ، وأن سيد جميع خلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، هو أكثر الأنبياء معجزات ودلائل، وأظهرهم فضائل، وفواضل وأبهرهم محاسن وشمائل، وأشهرهم فى الكتب السماوية علامات وبشائر ، لأنه صلى الله عليه وسلم أكثرهم أمة . وأشملهم دعوة ، وأكملهم شريعة، وخاتمهم نبوة ، وآخرهم رسالة ، وأنهم عليهم الصلاة والسلام قد استمدوا آياتهم من نوره صلى الله عليه وسلم ، قال الإمام الأبوصيرى رحمه الله :

وكل آى أتى الرسلُ الكرام بها
فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضلٍ هم كواكبها
يُظهرن أنوارها للناس فى الظلم

ولذا كان العالم أجمع محتاجاً إلى رسالته وثبوتها أكثر من احتياجه إلى رسالات سائر النبيين لأنها أظهر النبوات إعجازاً ، وأوضحها طريقا وامتيازاً ، وأكثرها تأييداً إلهيا ، وأن شواهدها تقهر من نافر وعاند ، وتُحج دلائلها من ناكر وجاحد ، وهى أنواع متغايرة ، وأخبار متواترة ، وآثار متظاهرة ، يصدق بعضها بعضاً ، ليكون تغايرها جامعاً

لكل برهان ، وتظاهرها رافعا لكل بهتان ، وهذا القرآن كله معجز ، ولو أردنا الكلام على معجزات سيد الكائنات ، لما وسع المقام ونفذ الكلام ، قال تعالى : (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي) وقد أفردها بعض العلماء الأجلاء بمجلدات ، ولا تفي مجلدات المؤلفين ، بما لسيد المرسلين من الآيات الباهرات ، ومن أمهاتها معجزاته صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالعالم العلوي ، ومن أهمها انشقاق القمر ، ورد الشمس ، والرمي بالشهب ، وقصة الاسراء ورؤية الملائكة إلى غير ذلك ودونك قصة الإسراء وإن كان قد أفردها المؤلفون بالتآليف الكثيرة ، مطولة ومختصرة ، وإن كان قد جمع الحافظ السيوطي أحاديثها في كتاب الخصائص الكبرى على وجه جامع لم يكن لغيره على ما أعلم فإني أذكرها موجزة ، لتكون على علم وبيان بفضل هذا النبي الكريم ، وهيهات هيهات أن يصل جميع المؤلفين والباحثون إلى ذرة من بحار فضائله ، والإحاطة بمكارم أخلاقه ، صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : (وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) وقال صلى الله عليه وسلم ، (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)

وقال الإمام الأبوصيرى :

وغاية العلم فيـه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

الإسراء

مادة اللغـــة

سرى به وأسرى لُغتانِ ، جاء بهما القرآن الكريم ، قال تعالى : (سُبْحانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ) ، وقال تعالى : والليل إذا يسرى ، وأسرى به لغة أهل الحجاز ، وسريت وأسريت إذا سرت ليـلا ، وسريت سُرًى ومَسرًى وأسريت بمعنى إذا سرت ليلا ، وأسرى بعبده ليلا تأكيد ، وقال أبو عبيدة سريت بالليل وأسريت به ، وقال أبو إسحق فى قوله تعالى : سبحان الذى أسرى بعبده ، معناه سيَّر عبـــــده ، والسُّرى لايكون إلا ليلا — قيل لجابر ما السرى؟ قال : السرى السير بالليل ، وتقول العرب : سرت ليلا إذا سار بعضه ، وأسرى إذا سار ليلته جميعها ، ويقال أسرى ليلا إذا وقع فى أثنائه ، فإذا وقع فى أوله قيل أدلج :

المعراج : عرَج يعرُج عروجا ومعرَجا ارتقى وصعد ، وعرج فى الشىء وعليه يعرِج بكسر الراء وضمها عروجا رقى

وارتفع، وعرِج الشيء فهو عريج ارتفع وعلا، والمِعراج والمِعرج المصعد، والطريق الذى يصعد فيه الملائكة ؛ جمعه المعارج ، ومعارج الملائكة ، مصاعدها التى تصعد فيها وتعرج ، قال تعالى : (تعرج الملائكة والرُّوح إليه) أى تصعد ؛ والمعراج السلم ؛ ومعارج ومعاريج جمع المعراج ؛ ومنه ليلة المعراج .

البراق : برق الرجل وأبرق أوعد بالشر ؛ وبرقت السماء برقًا من باب قتل ؛ وبرقانًا أيضًا ظهر منها البرق ؛ والبراق دابة نحو البغل مأخوذ من البرق لسرعة سيره ؛ تركبه الرسل عند العروج إلى السماء ، ومن البريق لشدة صفاء لونه ولمعانه .

حديث الإسراء

الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم إلى السموات العلا ، إلى ما لا يعلمه إلا الله، حديث ثابت لا خلاف فيه بين المسلمين، ولا شك ولا إنكار ولا تردد فى صحته ، وقع جسما وروحا يقظة لا مناماً ، نطق بذلك القرآن العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، وجاء بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الكلام النبوى ، الذى هو وحى يوحى .

فبجب الايمان به وبما انطوى عليه من درجات الرفعة إيماناً صحيحاً ، كما يجب الايمان بكل ما جاء به سيد الأنام صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، فمن شك فى مسراه صلى الله عليه وسلم فقد خبط خبط عشواء وركب متن عمياء وضل فى بيداء ، وظلم نفسه (إنه كان ظلوماً جهولا) وحاد عن الإسلام وكذب القرآن الكريم ، وخبر الرسول الأمين ، وخرج عن إجماع المحققين والمسلمين ، فكان جزاؤه الخزى والعذاب الأليم ، فماذا عليهم لو آمنوا بذلك إيماناً جازماً ، وصدقوا بما جاء به القرآن العزيز ، وصحاح الأخبار ، تصديقا تاما ، ليسلموا من التخبطات والجهالات ، التى وقع فيها أهل الزيغ والفجور لقصور عقولهم عن إدراك ما لم يدركوا وعلم ما لم يعلموا (بل كذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) ولا سند لهم فيما استندوا عليه ، إلا خبر القصاص ، وأقوال الكفار من قريش ، ومافهموه فهما معكوسا فى آية (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ) بجعل الرؤيا بالألف للمنامية فقط ، وقد رَدَّه علماء اللغة كما أثبت الحفاظ عدم صحة ما نسب للسيدة المبرأة وردوه على من رواه ، ونسبه إلى أم المؤمنين رضى الله عنها ، حتى قال ابن دحية فى التنوير إنه حديث موضوع عليها ، وروايته غير مقبولة ،

وقد يبين لك خطأ روايته إن شاء الله ، بعد ما تقف على أدلة القرآن الكريم، والأدلة النبوية لتكون على حق ويقين، من إسرائه صلى الله عليه وسلم، وتهتدى بذلك إلى الطريق المستقيم. وإليك البيان من القرآن الكريم ، وكلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

القرآن : سورة الإسراء : قال تعالى وهو أصدق القائلين:

« سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) وقال عز من قائل : » وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ » : سورة النجم ، « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ، وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى » .

أدلة النبوة

الأدلة الحديثية من كلام خير البرية ، كثيرة منتشرة خرجتها كتب الصحاح والمسانيد ، ورواها كثير من الصحابة، رضى الله عنهم ، لا يقل عددهم عن الأربعين، كعمر بن الخطاب وأبى بكر ، وعلى بن أبى طالب ، وابن عباس وابن عمر وأنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأُبَيّ بن كعب ، وجابر ابن عبد الله ، وحذيفة بن اليمان ، وسَمُرَةَ بن جندب ، وسهل بن سعد، وشداد بن أوس، ومالك بن أوس وأبى هريرة، وأم المؤمنين السيدة عائشة وأم سلمة أم المؤمنين وأم هانىء وأسماء بنت أبى بكر وغيرهم من كبار الصحابة وخيار التابعين، رضى الله عنهم أجمعين ، وأجمع على ذلك المسلمون ، وأعرض عنه الزنادقة والملحدون ، ولقد جمع هذه الأحاديث جلال الدين السيوطى ، فى الخصائص الكبرى ، وإليك بعض هذه الأحاديث ، فإن أردت المزيد ، فعليك بالخصائص والشفا ، والمواهب اللدنية وغيرها ، ولنبدأ منها بحديث ثابت عن أنس من طريق مسلم، لأنه أعدلها متناً ، وأصحها سنداً ، قال : حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا حماد بن سلمة . حدثنا ثابت البنانى، عن أنس بن مالك رضى الله

عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أُتيت بالبُراق ، وهو دابة أبيض طويل ، فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبته ، حتى أتيت بيت المقدس ، وربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد ، فصَلَّيْتُ فيه ركعتين ، ثم خرجت ، فجاء جبريل بإناء من عسل ، وإناء من لبن ، فأخذت اللبن ، فقال جبريل : أخذت الفطرة . ثم عرج بنا إلى السماء ، فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ قال جبريل : قيل ومن معك ؟ قال : محمد قيل وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا ، فإذا أنا بآدم عليه السلام ، فرحب بي ، ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ قال جبريل قيل : ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه : ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة ، عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام ، فرحبا بي ، ودعوا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فذكر مثل الأول ، فإذا أنا بيوسف ، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن ، فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ، وذكر مثله ، فإذا أنا بإدريس ، فرحب بي ودعا لي بخير ، قال تعالى : وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بهارون ، فرحب بي

ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بموسى ، فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فذكر مثله . فإذا أنا بإبراهيم ، مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم ، سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه ، ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى ، فاذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقِلال ، فلما غشيها من أمر الله ما غشى — تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ، فأوحى الله إلىّ ما أوحى . ففرض علىّ خمسين صلاة ، فى كل يوم وليلة ، فنزلت إلى موسى فقال : ما فرض على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة ، قال : إرجع إلى ربك ، فاسأله التخفيف ، فإن أمتك لا يطيقون ذلك ، فإنى قد بلوت بنى إسرائيل قبلك ، وخبرتهم ، قال : فرجعت إلى ربى فقلت يارب ، خفف عن أمتى ، فحط عنى خمساً ، فرجعت إلى موسى فقلت: حط عنى خمساً ، فقال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك ، واسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربى وموسى حتى قال: يامحمد إنهن خمس صلوات، لكل يوم وليلة ، بكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة ، ومن هَمّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن همّ بسيئة فلم يعملها

لم يكتب عليه شيء فإن عملها كتبت سيئة واحدة ، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ، فأخبرته ، فقال : إرجع إلى ربك ، فاسأله التخفيف ، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه .

٢ — أخرج الطبراني وابن قانع وابن مردويه عن أبي الحمراء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أسري بي إلى السماء السابعة ، فإذا على ساق العرش الأيمن لا إله إلا الله محمد رسول الله .

٣ — أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي وصححه البزار والطبراني وابن مردويه عن شداد بن أوس قال : قلنا يارسول الله ، كيف أسرى بك ؟ قال : صليت بأصحابي العتمة بمكة مُغْتَمًّا فأتاني جبريل بدابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل ، فقال : اركب ، فاستصعب على فرأزها[1] بأذنها ، ثم حملني عليها فانطلقت تهوي بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها حتى بلغنا أرضاً ذات نخيل فأنزلني فقال : صل ، فصليت ثم ركبنا فقال : أتدري أين صليت ؟ فقلت : لا ، قال : صليت بيثرب ، صليتَ بطيبة ، فانطلقت تهوي بنا ، ثم بلغنا أرضاً فقال : إنزل فنزلت ، ثم قال : صل

(١) اختبرها

فصليت ، ثم ركبنا، فقال : أتدرى أين صليت؟ قلت :لا، قال: صليت عند شجرة موسى، ثم بلغنا أرضاً بدت لنا قصور، قال: انزل فنزلت فقال: صل فصليت ، ثم ركبنا ، فقال: أتدرى أين صليت ؟ قلت :لا، قال: صليت ببيت لحم، حيث ولد عيسى، ثم انطلق بى ، حتى دخلنا المدينة،من بابها الثانى، فأتى قبلة المسجد، فربط فيه دابته ، ودخلنا المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر. فصليت فى المسجد حيث شاء الله، وأخذنى من العطش أشد ما أخذنى قط فأتيت بإناءين ، فى أحدهما لبن وفى الآخر عسل ، أرسل إلىّ بهما جميعاً . فعدلت بينهما ، ثم هدانى الله فأخذت اللبن ، فشربت ، حتى قَرَعْتُ به جبينى ، وبين يدى شيخ متكىء على منبر له ، فقال : أخذ صاحبك الفطرة ، إنه ليهدى، ثم انطلق بى حتى أتينا الوادى ، الذى فيه المدينة، فإذا جهنم تنكشف على مثل الزرابى ، قلت: يا رسول الله ، كيف وجدتها؟ قال : مثل الحمة السخنة ثم انصرف بى فمررنا بعير لقريش بمكان كذا وكذا . قد أضلوا بعيراً لهم ، قد جمعه فلان، فسلمت عليهم. فقال بعضهم: هذا صوت محمد . ثم أتيت أصحابى . قبل الصبح بمكة، فأتانى أبو بكر فقال:يارسول الله ، أين كنت الليلة ؟ فقد التمستك فى مظانك ، فقال : عامت أنى

أُتيت بيت المقدس الليلة ؟ فقال : يارسول الله إنه مسيرة شهر ، فصفه لى . قال: ففتح لى صراط كأنى أنظر إليه لايسألنى عن شىء إلا أنبأته عنه . قال أبو بكر : أشهد أنك رسول الله ؛ فقال المشركون انظروا إلى ابن أبى كبشة ، يزعم أنه أتى ببيت المقدس الليلة ؛ فقال: إن من آية ما أقول لكم أنى مررت بعير لكم بمكان كذا وكذا ، قد أضلوا بعيراً لهم فجمعه فلان ، وأن مسيرهم ينزلون بكذا وكذا ، ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود ، وغرارتان سواداوان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينتظرون حتى كان قريبا من نصف النهار ، أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤ — أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى أبوب الأنصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مر على إبراهيم عليه السلام فقال له إبراهيم : مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة فإن تربتها طيبة ، وأرضها واسعة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: وما غراس الجنة ؟ قال: لاحول ولاقوة إلا بالله .

٥ — وأخرج ابن مردويه من طريق زيد بن على عن

آبائه عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم الأذان ليلة أسرى به وفرضت عليه الصلاة .

٦ — وأخرج أحمد عن ابن عباس قال : فرض الله على نبيه الصلاة خمسين صلاة ، فسأل ربه فجعلها خمس صلوات .

٧ — وأخرج أحمد وابن أبي شيبة والترمذي والحاكم وصححاه والنسائي وابن جرير وابن مردويه والبيهقي عن حذيفة ، أنه حدث عن ليلة أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال : مازايل البراق حتى فتحت له أبواب السموات ، فرأى الجنة والنار ووعد الآخرة أجمع ، ثم عاد . ولفظ ابن مردويه — فأرى مافي السموات وأرى ما في الأرض . قيل له : أي دابة البراق؟ قال : دابة طويل أبيض خطوه مد البصر .

٨ — أخرج أبو نعيم عن عروة قال: قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بمسراه إلى بيت المقدس: أخبرنا ماذا ضل عنا وأتنا بآية ماتقول ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضلت منكم ناقة ورقاء عليها بزلكم ، فامـــا قدمت عليهم قالوا: انعت لنا ما كان عليها ، ونشر له جبريل ما كان عليها كله ينظر إليه فأخبرهم بما كان عليها وهم قيام ينظرون ، فزادهم ذلك شكا وتكذيباً

طهر لك واضحا من كلام رب العالمين وخبر الصادق المصدق ؛ اللذين لا غموض فيهما ولا خفاء ولا جدال ، ولا مكابرة — أن هذا الفعل العجيب الخارق للعادة ؛ الثابت بالأحاديث المتواترة وبما نطقت به الآيات القرآنية من الاستعظام والعبودية والاستدلال بالسرعة الخارقة للعادة المؤيدة لأعظم معجزة ؛ لم يسبق لها مثيل لغير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، قامت بها الأسرار الإلهية من تلطيف جسمه الشريف وترقيق حجب بشريته صلى الله عليه وسلم حتى صار نورانيا ملكيا مطلوبا إلى الجناب العلوى ؛ تكريما وتشريفا لهذا النبى الأمى العظيم والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليتحفه بأنواع التحف والزلفى ، ويريه تبارك اسمه ما أخفاه من آياته الكبرى ، وعجائب صنعه فى سمواته وأرضه ، ما لم يره قبله أحد من جميع خلقه ، فارتفع إلى أعلى مقام عظيم حيث صار هناك ذلك التعليم ، فعامه مولاه ما لم يكن يعلم (فَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمْ) ولا يخفى على فهيم حكيم أن معنى قوله تعالى : (ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى) لا تناسب إلا هذا النبى الكريم أى إنك صاحب متانة ورصانة ، وهذا أليق بالبشر من الملك لأن الملك مجرد عن المواد التركيبية ؛ فلا يقال لهم آراء وأفكار ، وإن العقل لنور تدرك به الأشياء

قال الفخر فى قوله : « فاستوى » ما نصه : والظاهر أن المراد محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ومعناه استوى بمكان ، وهو بالمكان العالى رتبة ومنزلة فى رفعة القدْر ، لا حقيقة فى الحصول فى المكان اهـ . ولم يكن الإسراء إليه سبحانه ؛ لأنه لا يحده مكان ، ولا يخلو منه مكان ، وهو معه أينما كان ، لا فوق ولا تحت ولا قرب ولا بعد ولا دنو ولا ارتفاع ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وأنه منزه عن المكانية والجسمية ، كل المخلوقات فى قبضته ، ورهن إشارته ، وقهر عظمته ، أمره بين الكاف والنون . اقتضت قدرته سبحانه أن يجعل فى جسمه الشريف ، أهلية سماوية أرضية ، تفوق قوى الملائكة ، الموكلين بالعرش ، ليصل بها إلى أشرف العوالم والمقامات العلا ، التى ما وصل إليها نبى مرسل ، ولا ملك مقرب ، وهذا أعلى درجات الفضل ، فكان صلى الله عليه وسلم قاب قوسين أو أدنى ، إشارة إلى قرب سيد البرية عليه من المولى الجليل كمال التحية . قال ابن عباس : دنا محمد فتدلى من ربه ، وقال القرطبى دنا محمد من ربه فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، وقال جعفر الصادق ، ذو المجد الفائق رضى الله عنه : الدنو من الله لا حد له ينتهى إليه مطمح فهم ، أو مطرح وهم ، فتدلى بسكون قلبه ، إلى موضع

الإيحاء . وقرب المحب من الحبيب غاية القربة فنال غاية الهيبة ودنوه منه برفع مكانته وتدليه . جذبه بشراشيره إلى جناب القدس ، فلله الحمد والمنة فى تأييد ما قلته بكلام هؤلاء الأجلاء الفضلاء . وفى هذا المكان الرفيع جمع الله بين الكلام والرؤية تشريفاً له وتعظيماً ، وقرب منه جميع المخلوقات والأشياء : علوها وسفلها ، حتى صارت مرئية منه صلى الله عليه وسلم ، قال : فصرت أنظر فى مثل سم الخياط ، ورأيت آياته الكبرى ، وحفظنى حتى ما زاغ البصر وما طغى — أى ما جاوز ما أمر به وهذه صفة عظيمة فى الثبات والطاعة ، فإنه ما فعل إلا ما أمر به ، ولا سأل فوق ما أعطى . وما أحسن ما قيل :

رأى جنة المأوى وما فوقها ، ولو رأى غيره ما قد رآه لتاها

قال صلى الله عليه وسلم زويت لى الأرض حتى أرانى الله مشارق الأرض ومغاربها فكانت جميع العوالم أرضية وسماوية قريبة منه ، فرأى العالم بأسره ، ورأى الملائكة على اختلاف صفوفهم ومقاماتهم وما وكلوا من سدنة الجنان ، وخزنة النيران ، ورأى المقربين والمنعمين ، ومقامات المطيعين ، ومواضع العاصين ، وشاهد ما حير العقول وسبح فى الملكوت ، وقال سبحان ربى العظيم العلى الأعلى ، ونظر سدرة المنتهى وما غشاها من

العجائب ، وأبصر الكرسى المحيط بها ، والحجب والأستار ، وتلقى ما فيه غنى لحفظ الأمة وما عليه سعادة البشر وهناؤه ، وتلقى صلى الله عليه وسلم الأمر بالصلاة دون واسطة ، وغيرها من الفرائض لم يكن لها ذلك ، وقد حض عليها الشارع عليه السلام مالم يحض على غيرها من الفرائض ، وجعلها فرقا بين الإيمان والكفر وقال فيها : موضع الصلاة من الدين موضع الرأس فى الجسد. وقال فيها: وجعلت قرة عينى فى الصلاة. وقال فيها : أرحنا بها يابلال ، وسمع كل ما أوحى إليه من الرب العظيم بجسمه وروحه فى قربه. ومسراه ليلا بالارتقاء لتلك المنزلة العليا ، للتمكن من التخصيص بمقام المحبة ، لأن المولى جل وعلا اتخذه حبيبا وخليلا ، وجمع له بين مقام الخُلة والمكالمة ، وأشرق الليل بنوره ، ليزداد الذين آمنوا بالغيب ويفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم ، إذ الليل أخفى حالا من النهار ، ولو كان المسرى نهاراً لفات المؤمنين الإيمان بالغيب ، وقد أثنى الله على الذين يؤمنون بالغيب ، فمن أنكر المسرى الجسمى يقظة وروحا ، فقد أنكر عقله ، وتعصب على المعقول والمنقول ، مما أثبته السلف وجرى عليه المحققون من الخلف ، مما لا يحتاج إلى بيان أو توضيح وإنما هو العناد والمكابرة ، فلو صفت النفوس وخلصت النيات ،

وطهرت الأفئدة . وسلمت العقيدة ، من الريب والغين ، لثبت عندهم ماثبت فى القرآن الكريم قطعا ، وما اختلفوا فيه ، وتأكدوا أن لله سبحانه وتعالى أسرى بشمس الوجود مع خير ملائكته من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليلا — سريت من حرم ليلا إلى حرم — إلى حيث دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، وفارقه جبريل ، وانقطعت عنه الأصوات ، وسمع صريف الأقلام وخاطبه مولاه مع نفى التكليف والتحديد ، وأوحى إليه ما أوحى ، وخصه بما لم يقع لغيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وأتحفه برفع المنزلة والكرامة وزاد فى تشريفه وتعظيمه وتكريمه ، فخصه بالإسراء .

الإسراء

فى ليلة سطع نورها وازدهى فضلها وعم خيرها وتكاثرت بركاتها ، فى ليلة الاثنين السابع والعشرين من شهر رجب من السنة الثانية عشرة للمبعث ، الموافق لسنة إحدى وخمسين من ميلاد السراج المنير ، سيد الكائنات ورئيس الأنبياء ، ونخر الأنام ، فى يوم الإثنين الذى جعله سبحانه مبدأ النور والسناء والرفعة والبهاء ، مولدا ومبعثاً ومسرى وهجرة ووفاة فى ليلة

هذا اليوم ؛ الذى اختص الله به حبيبه كان هذا المسرى ليرى بعينى رأسه أسرار الملكوت ، ويطوف بجسمه الشريف على عوالم الله كلها ، ويحيط بها وبما شاء الله من الأسرار علما ، وينتقل من عالم إلى مالا يعلم علمه إلا الله تعالى. قال البوصيرى رضى الله عنه

فإن من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم

إلى مقام العزة والكمال التى لم ينلها نبى قبله ولا رسول لارتفاع رتبته على جميع الأنبياء والمرسلين ، وعلو مقامه صلى الله عليه وسلم ، علوا لا يعلم مقداره إلا الله جل وعلا ؛ وهنا نال من المولى الكريم منتهى التعظيم والتكريم ، وشرح صدره ، وثبت فؤاده ، ورفع ذكره فى عليين ، تمهيداً لما يُفيضُه عليه جل ذكره من بحار فيضه ولما يمده به من عظيم إمداد كرمه ، ليجمع له صلى الله عليه وسلم بين عالم الروح وعالم المادة اللذين بهما ينال الإنسان الرفعة والكمال ، وينهض بهما إلى أفق العلا ، ويرتقى عن المستوى الجسمانى إلى المستوى الروحى الأعلى ، وتكون المسرى وسيلة القرب ومنتهى التعليم ، وفخرا للحبيب الكريم صلى الله عليه وسلم

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سمـــاء

البراق : فى هذه الليلة المباركة ، وبعد أن استقر سيد الأنام فى المنام ، ونامت منه العين ولم ينم القلب وعمه النور الإلهى ، أكرمه المولى الكريم بفضل عظيم ، واختصه بالمنزلة السامية وحياه بدرجة عالية ، ما فوقها درجة ، فأرسل له الروح الأمين ومعه ميكائيل عليهما السلام بدابة فوق الحمار ودون البغل ، فحملاه من منامه برفق وأتاه ، إلى المسجد الحرام ، حيث زمزم والمقام ، ونفذا أمر الملك العلام ، ثم أركباه براقا ميمونا مسرجا ملجما ، وسارا به مشاهدا عالم الملك ، وما فيه من باهر آيات الله إلى المسجد الأقصى إلى السماء الدنيا ، فاستفتح جبريل ، ففتحت السموات سماء سماء وفى كل سماء أمرها ، وعرّفه جبريل بكل من فيها وتلقاه مقربوها وعرفهم واحداً واحداً ، وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين ، وصافحهم ، ورأى الملائكة صفوفا صفوفا ما بين ذاكر وعابد وراكع وساجد (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ ، لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) .

ثم جاوزهم إلى المقام الأسمى ، إلى مستوى سمع فيه صرير

الأقلام ، بما كان ويكون إلى يوم الوقت المعلوم ؛ ورأى الجنة وما فيها من سندس وحرير ونعيم مقيم ، أعده الله لعباده الصالحين ، وشاهد النار وما فيها من أهوال وعذاب أليم ولهب وسعير ، لمن كذب بما جاء به الرسول الأمين محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعرض وتولى وأنكر ماثبت بالبراهين والحجج الدامغة ، كالإسراء والمعراج جسما وروحاً ، ثم ارتقى صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، أو كما قرأ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وأبو الدرداء وجماعة من الصحابة عندها جنه بالهاء لا التاء على أن جن فعل ماض والهاء ضمير المفعول ليعود للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ والمأوى فاعل ؛ أى عندها ستره إيواء الله تعالى ، وجميل صنعه به الذى آواه فيه مولاه من عدم التزلزل والرجفة ، وثبته وحباه وتولاه فما زاغ البصر ، بل ثبت ثباتاً كلياً فى نقطة اعتدال كمال الكمال ، وكان هذا الإحسان على سيد الأكوان الذى ما ناله غيره من ملك ولا إنسان ، خارجاً عن دائرة الأكوان المحيط بها الزمان والمكان ، وإلى هنا وقف جبريل وتأخر لأنه لايناسب ما هو أعلى من تلك المقامات « وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ » ثم قال : تقدم أنت ياسيد الأنام ، وحبيب الرحمن ، فإلى هنا مقامى ،

لو تقدمت أُنملة لاحترقت . فتقدم سيد الكائنات ، وغاب فى ملكوت العزة ، واستغرق فى النور ، وغشيته الهيبة الإلهية فناداه ربه وقربه وأدناه وناجاه بلا كيفية قال ، جعفر الصادق عليه الرضا : لما قرب الحبيب غاية القرب ، نالته غاية الهيبة ، فلاطفه الحق سبحانه بغاية اللطف ، لأنه لا تُتحمل غاية الهيبة إلا بغاية اللطف ، وذلك قوله : (فأوحى إليه ما أوحى) أى كان ما كان ، وجرى ما جرى ، قال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب لحبيبه ، وألطف به إلطاف الحبيب بحبيبه وأسر إليه ما يسر الحبيب إلى حبيبه ، فأخفيا ولم يطلعا على سرهما أحداً قال ابن الفارض :

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سر أدق من النسيم إذا سرى

وكان مما أوحى فرض الصلاة ، التى فيها المراتب السنية ، وفيها يقول الحق على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : (قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين) وفى رواية ولعبدى ماسأل ، وقال صلى الله عليه وسلم : إذا دخل العبد فى الصلاة أقبل الله عليه ، فإذا التفت أعرض عنه ، وما ذلك إلا لأنها دون جميع العبادات ، جمعت بين المناجاة الروحية ، والرياضة الجسمية ، وقيام الأعضاء ، بتسبيح الملك الديان (وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)

فصارت أعظم العبادات ، لأن الله سبحانه فرضها بنفسه من غير واسطة ، ملك اعتناء بشأنها ولذا فالشافعى يحكم بقتل تاركها ، وأحمد يرى كفره ؛ فلو لازمها الإخلاص وأدها العبد على أتم مايكون ، لطهرت القلوب واستنارت الأفئدة وصفا يقين المرء ، وسبح فى ملكوت الله ، وعرج إلى ساحة كرمه وإنعامه ففازمن ربه بالغفران والأجر العظيم ونال بها جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، نطقت بذلك آيات الكتاب الكريم وبينته صحاح الأخبار النبوية ، وهى دون جميع العبادات تتكرر فى اليوم والليلة خمس مرات عملا ، بعد أن كانت خمسين ،شفقة بالأمة المحمدية ورحمة ، وأنها عمادالدين والركن القويم وموضع المناجاة ، وقد أجمع السلف والخلف على فرضيتها ، فى أجل المواضع ليلة الإسراء ، وجرى العمل بها إلى يوم الدين ، فلما أتم الله عليه نعمته ، وأناله مالم ينله سواه ، عاد إلى المقام المعلوم ، حيث جبريل فى الانتظار ، وهبطا معاً من السموات سماء سماء الى المسجد الأقصى ،وهبط معه الأنبياء تكريما له وتعظيما ، واحتفاء بسيد الأنبياء ، ضيفهم الكريم وقد حانت صلاة الغداة فأذن جبريل ، واصطف الأنبياء صفوفاً ينتظرون الإمام ، فقدم جبريل سيد الرسل إماماً .

وقال: تقدم فأنت للكل الامام ، إظهاراً لشرفه على جميع إخوانه من الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام . فلما أتم الصلاة . خرج من بيت المقدس مودّعاً ، وأثنى على مولاه ، بعد ما سمع ثناء جميع الأنبيـاء « سبحانك اللهم لانحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

ثناء الانبياء

أثنى سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، فقال : الحمد لله الذى اتخذنى خليلا ، وأعطانى ملكا عظيما ، وجعلنى أمة قانتا يؤتم بى وأنقذنى من النار ، وجعلها علىّ برداً وسلاماً . وأثنى سيدنا موسى عليه السلام ، على ربه فقال : الحمد لله الذى كلمنى تكليما ، واصطفانى وأنزل علىّ التوراة ، وجعل هلاك فرعون ونجاة بنى إسرائيل على يدى ، وجعل من أمتى قوما يهدون بالحق وبه يعدلون . ثم إن داود عليه السلام ، أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى جعل لى ملكا عظيما وعلمنى الزبور ، وألان لى الحديد وسخر لى الجبال يسبّحْنَ معى والطَّيرَ ، وآتانى الحكمة وفصل الخطاب . وأثنى سيدنا سليمان عليه السلام على ربه فقال : الحمد لله الذى سخر لى الرياح ، وسخر لى الشياطين ، يعملون

ما شئت ، من محاريب وتماثيل ، وعلمنى منطق الطير ، وآتانى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى ، وجعل ملكى ملكا طيباً ، ليس فيه حساب . ثم أثنى على ربه سيدنا عيسى ، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ، فقال : الحمد لله الذى جعلنى كلمته ، وجعلنى مثل آدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ، وعلمنى الكتاب والحكمة ، والتوراة والإنجيل ، وجعلنى أخلق الطير ، أى أصور الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه ، فيكون طيراً بإذن الله ، وجعلنى أبرئ الأكمه والأبرص ، وأحى الموتى بإذن الله ، ورفعنى وطهرنى ، وأعاذنى وأمى من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان علينا سبيل ، وإن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ، قال : كلهم أثنى على ربه ، وأنا أثنى على ربى .

الحمد لله ، الذى أرسلنى رحمة للعالمين كافة ، للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل علىّ الفرقان ، فيه تبيان كل شىء ، وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتى أمة وسطا ، وجعل أمتى هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ، ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحا وخاتما . فقال سيدنا إبراهيم عليه السلام : بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وسلم . ثم ركب البراق ميمماً صوب مكة والمقام ، فلما أصبح

حدث بمسراه ، وأخبر بما عاين وشاهد ، فأخذتهم الرَّجفة ، وصعِقوا بما أخبر ، عناداً وتعجبا من هذا الأمر العظيم ، وقال المنكرون : إن هذا لسحر مبين ، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون ، فأنزل الله سبحانه (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) ثم تجمعوا وقالوا : كيف يتم هذا بليل ؟ وهو لا يتم إلا فى أشهر صعداً وعوداً ، فضلا عن العروج ، ومشاهدة الملكوت والسموات ، والجنة والنار والمناجاة ، وازداد عجبهم ، وتحيروا فى أمر هذا الرسول الكريم ، فمن كان قد أسلم وهو على شفا جُرُف ، ارتد استبعاداً للخبر ، وضل ضلالا مبيناً ، ووقع فى بلية عظيمة لردِّهم وتكذيبهم وإنكارهم لخبر الصادق صلى الله عليه وسلم ، بما هو خارق للعادة ، وما كذَّبوا إلا بما علموا أن إسراءه بالجسد والروح حال يقظته ، وقد حصل العلم القطعى ، أن ما رأى عليه الصلاة والسلام وشاهد إلا يقظة جسما وروحا ، لا مناماً ، وتواترت الأخبار أن هذا الإسراء على البراق مما يوجب أنه كان بالجسد ، لأن الدواب لا تحمل الأرواح ، وإنما تحمل الأجسام .

وأما أولو العزم واليقين الصحيح ، فقد ثبتوا على إيمانهم ، وآمن قوم هداهم الله للإيمان ، بعد ما تبين لهم الهدى من

الضلال ، وبعد سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم ، عن وصف بيت المقدس ، وعن جزئيات فيه ، كانوا يعلمونها ، وهم يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يكن قط دخل بيت المقدس ، حتى يعلم الجزئيات التي فيه ، فلما أن أعلمهم بها في الحال ، ووصف بيت المقدس وصفا تاما ، وعد أبو ابه بابا بابا ، وجعل يقول : هذا باب كذا ، وفي موضع كذا ، وأبو بكر رضي الله عنه يقول : صدقت صدقت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : يا أبا بكر إن الله عز وجل ، قد سماك الصديق ، فتحققوا أنه أُسري به قطعا ، وكان ذلك ، أكبر آية على تصديقه صلى الله عليه وسلم فيما ادعاه ، وسببا لتقوية إيمان المؤمنين ، ولمن ختم الله عز وجل له بالسعادة من المشركين ، فبان له الحق ، بتلك الآية ، ففزع عن الشرك وأسلم . خرج الشيخان عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لما كذَّبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس ، قمت في الحجر فجلَّى الله لي بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنظر إليه) وقال الإمام أحمد : (حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثني راشد بن سعيد ، وعبد الرحمن بن جبير ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما عرج بي إلى ربي

عز وجل، مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون فى أعراضهم). وهاك تصديق بطريق إيلياء. أخبر به أبو نعيم عن محمد بن كعب القرظى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أرسل دحية الكلبى إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام دعا قومه وعرض عليهم كتاب النبى صلى الله عليه وسلم، وأمرهم باتباعه، وأنه نبى، وقد بشر به فى الإنجيل، فقامت الأساقفة والشمامسة والبطارقة، وقالوا: لا تعجل حتى تسأل عنه وتكاتبه وتنظر فى أمره، قال فمن نسأل عنه؟ قالوا: من بالشام، فابتغوا قوماً ليسألوهم فجمعوا له أبا سفيان وأصحابه فسألهم فلم يأل أبو سفيان أن يصغر أمره ما استطاع، وقيصر يفند قوله ويرده ويقول: والله ما تزيدوننى عليه إلا بصيرة، والذى نفسى بيده ليوشكن أن يغلب على ما تحت قدمى، يا معشر الروم، هلموا إلى أن نجيب هذا الرجل إلى ما دعا إليه، ونسأله الشام، ألا يوطئ علينا أبداً، قالوا: لا نطاوعك فى هذا أبداً، قال أبو سفيان: والله ما يمنعنى من أن أقول عليه قولا أسقطه من عينيه إلا أنى أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها على ولا يصدقنى، حتى ذكرت قوله ليلة أسرى به

قلت : أيها الملك ألا أخبرك عنه خبراً تعرف أنه قد كذب ، قال : وما هو ؟ قلت : إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم ، فى ليلة ، فجاء مسجدكم هذا ، مسجد (إيلياء) ورجع إلينا فى تلك الليلة قبل الصباح ، قال : وبطريق إيلياء عند رأس قيصر قال البطريق : قد علمت تلك الليلة ، قال : فنظر قيصر وقال : ما علمك بهذا ؟ قال : إنى لا أبيت ليلة حتى أغلق أبواب المسجد ، فاما كانت تلك الليلة ، غلقت الأبواب كلها ، غير باب واحد غلبنى ، فاستعنت عليه عمالى ، ومن يحضرنى كلهم ، فعالجته فلم نستطع أن نحركه . كأنما نزاول به جبلا ، فدعوت النجاجرة فنظروا إليه فقالوا : هذا باب قد سقط عليه النجاف[1] ، أو البنيان ، فلا نستطيع أن نحركه حتى نصبح ، فننظر من أين أتى عليه ؟ فرجعت وتركته مفتوحا ، فلما أصبحت غدوت فاذا الحجر الذى من زاوية الباب مثقوب وإذا فيه أثر مربط الدابة ، فقلت لأصحابى : ما حبس هذا الباب الليلة إلا نبى ، وقد صلى الليلة فى مسجدنا ، فقال قيصر : يامعشر الروم ، أليس تعلمون أن بين عيسى وبين الساعة نبيا بشركم به عيسى ؟ وهذا هو النبى الذى بشر به عيسى ، فأجيبوه إلى مادعا إليه ، فلما رأى

(١) قال الأزهرى النجاف : ذروة الباب — أى أعلاه .

نفورهم — ترك الأمر لهم اه ، وقد طالبوه بآية ما يقول ، فأخبرهم عن عيرهم وأنها فى مكان كذا ، وذكر لهم غير فلان وفلان ، وأنها بالروحاء ، وتحضر فى وقت كذا ، ثم أخبرهم أن عيراً ندّ[1] فانكسر ، وأن ناقة أخرى ضلت وهم فى طلبها ، وأنه شرب من ماء قدحهم وسلم عليهم ، فلما حضروا وسألوهم عن ذلك كله ، صدّقوا الصادق المصدَّق فى خبره ، فآمن من آمن ، وشذّ الخاطئون الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، فلم ينالوا إلا الخزى والعار ، ومحال أن يصلوا إلى ما يوافق رأيهم العاثر ، لأنهم ماديون مخرفون وهذه قوانين إلهية ، ونواميس روحية ، لا يهتدى إليها عالم الطبيعة ، لخروجها عن معقول العقول السقيمة ، وهذه النواميس الروحية ، تسلطت على الجسم وساد سلطانها عليه ، وصار الحكم لها لاله ، فتمكنه من طى المسافات البعيدة ، ورؤية المغيبات ، واختراق الحجب والجدران ، من غير ضرر يلحق الجسم ، ولا أذى يشمله ، وليس بخاف ما نشاهده من كرامات الأولياء صباح مساء ، ولا إنكار لما هو حاصل لخواص البشر ، الذين غلبت عليهم روحانيتهم ، فتحكموا فى نواميس المادة تحكما

---

(١) ند : نفر وذهب على وجهه

صدَّقه النظر، وما كذبه العقل الحكيم، وهاهو ذا المنوَّم يجيب عما بعد عنه ونأى، ويخبر بما يتحقق بعد، وقد يحضر أشياء استعصى حضورها، وقد يخوض النار ولا تؤثر فيه، لتسلط الروح على مادة الجسم تسلطا تاماً، وما حديث عرش بلقيس عنا بغريب، وليس بالقول الخيالى أو ما يحتمل خبره التصديق والتكذيب، بل قطعى جاء به القرآن الكريم، قال تعالى:

(قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ، وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ، قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ، أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ، فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ: هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي).

وهذا الخارق العظيم لم يتجاوز ثوان، قام به آصف كاتب سيدنا سليمان عليه السلام أو وزيره، إظهارا لما وهب الله لسيدنا سليمان من الملك، وما سخر له من الجنود، وليتخذ ذلك حجة على ثبوت نبوته عند بلقيس وقومها، وما المسافة بين مأرب باليمن وبيت المقدس، إلا أضعاف ما بين البيت الحرام وبيت المقدس، وليس عرش بلقيس بالأمر الهين، فإنه من ذهب، وقوائمه لؤلؤ وجوهر، ومستَّر بالديباج والحرير، وقد حجَّبته بالأغلاق والأقفال والحفظة، وها هى ذه الطيارات الآن تقطع أكثر من تلك

المسافات فى أقصر زمن، ولاغرابة فى ذلك ولاإنكار، بل ألفه الناس وصار ماكان محالا من مئات السنين ، معتادا مقبولا ، لأنهم يسمعون كل يوم ألوفا من الحوادث ، ويشاهدون ويقرءون الأخبار الدالة على السرعة المتناهية ولا عجب ولا استبعاد ، فكيف بإمام الروحانين وسيد الخلق أجمعين ! ومن هو أعلاهم منزلة، وأسماهم مقاما ، وكيف نستبعد ذلك على قدرة الله العلى العظيم ! ذى السلطان والجبروت ، الذى أعطى سيد الأنبياء مالم يعطه نبى قبله ولارسول، ولم ينله جبريل ولا الملائكة المقربون . وكيف لايُعْلِنُ الله سبحانه فضل النبى الكريم صلى الله عليه وسلم، وحبيبه المختار لجميع خلقه ! وكيف لايخرق للقدرة البشرية النواميس الطبيعية ! لتحظى هذه الحضرة النبوية فى حضرة القرب، بالمكالمة والمشاهدة ، من غير إدراك ولا إحاطة ولا تكييف بحد ولا انتهاء ، صلى الله عليه وسلم أفضل ماصلى على أحد من عباده الذين اصطفى ، وماذا عسى أن يقال : سوى أن المحب القادر الفعّال لما يشاء الذى لايعجزه شىء ، والذى خلق حبيبه من نوره ، وفضله على جميع الأنبياء والمرسلين، واختاره ليكون نبياً ورسولا للناس كافة ، قد دعاه لمشاهدة عجائبه ، وأرسل له خواص ملائكته تنفيذا لأمره ،

فأى مسافة تطول على ذلك الحبيب الربانى ! وأى جسم يمتنع عن أن يخترق ذلك الجسد النورانى ! ليشاهد من آيات ربه الكبرى ويخترق السبع الطباق ويرى ويسمع ما أعده الله لعباده المتقين ؛ أولى اليقين الصحيح والعزيمة الصادقة ، أصحاب الهدى ، وشموس الاهتدى ، الذين صدقوا وفازوا بنعيم مقيم ، وكانوا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، وليقيم الحجة على من كذب وتولى عناداً وحسداً فكانوا لجهنم حطباً ، ولا ناصر لهم ولا دليل يؤيدهم ، غير ما نسب إلى أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها فى قول من قال إنها قالت : ما فُقِد جسده ، أو مافقدت على خلاف فى روايته ، فانه بين البطلان ، ظاهر عليه الزور والاختلاق ، ولا أصل له على الإطلاق ، وإنما رواه القصاص للتضليل ولإخفاء الحقيقة المحمدية (يرُيدُون ليطفئوا نُور الله بأفواههِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ ولو كرِهَ الكافِرُون) : على أن من له أدنى علم بالتاريخ يعتقد براءة السيدة عائشة مما نسب إليها ، لأنها ولدت فى السنة الرابعة للمبعث ، وكان سنها لا يتجاوز السبع السنين وقت الإسراء ، ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم قد بنى بها رضى الله عنها ، على أن الحفاظ ردوا هذا الحديث وقالوا : إنه

ليس بالثابت عنها ؛ لما فى متنه من العلة القادحة وفى سنده من انقطاع ورواية مجهول ، قال ابن دحية فى التنوير إنه حديث موضوع ، وقال غيره : روايته غير مقبولة ، وعلى فرض صحة رواية ما فُقِد بالبناء للمجهول فهى لم تحدث به عن مشاهدة ؛ لأنها لم تكن فى سن يضبط عنها. فقد كانت سن سبع سنوات ، ورواية ما فقدتْ كان لم يدخل بها إلا فى المدينة ؛ هذا مما يوهنه ويؤيد رد الحفاظ له ، بل الذى يدل على وضعه ويثبت على أن الإسراء كان بالجسد الشريف ، إنكارها رؤيته لربه رؤية عين باصرة ولو كان الإسراء عندها منامًا لم تنكر ذلك. فهذا ما بدا لفهمى العليل وأدى إليه فكرى الكليل ؛ فلا تكن من الغافلين ، وقد روى البيهقى عنها ما يثبت إنكار ما نسب إليها ؛ قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنى مكرم بن أحمد القاضى ، حدثني إبراهيم بن الهيثم البكرى ، حدثنى محمد بن كثير الصنعانى . حدثنا محمد بن راشد ، عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : (لما أُسْرِىَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى المسجد الأقصى ، أصبح يحدِّثُ الناس بذلك ، فارْتَدَّ ناسٌ ممن كانوا قد آمنوا به وصدقوه ، وسعَوْا بذلك إلى أبى بكر ، فقالوا : هل لك فى صاحبك يزعم أنه

أسرى به الليلة إلى بيت المقدس؟ فقال : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا : أتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال : نعم إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه فى خبر السماء فى غُدْوة أو روحة ، فلذلك سمى أبو بكر الصديق) : وأخرج الطبرانى فى الأوسط، وابن مردويه من طريق أبى معشر عن أبى وهب مولى أبى هريرة قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وكان بِذِى طُوًى[1] قال : (ياجبريل إنَّ قومى لايصدقونى ، قال: يصدقك أبو بكر وهوالصديق) وأخرج ابن مردويه من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما أسرى بى إلى السماء ، أذَّن جبريل فظنت الملائكة أنه يصلى بهم فقدمنى فصليت بالملائكة) : وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : (هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله علية وسلم وكان ببدنه وروحه) وما شك فى ذلك أحد من جمهور السلف والخلف ، وليس ببعيد على باهر قدرة الله سبحانه ، وعظيم حكمته ، أن يخلق مثل هذه الحركة

(١) طوى : واد قرب مكة : ويعرف الآن — بالزاهر فى طريق التنعيم .

السريعة ، التى هى أسرع من حركة ضياء الشمس ، فى بدن حضرة النبى صلى الله عليه وسلم ، فيسير ويعرج ويشاهد المشاهد السماوية والتجليات الإلهية ويتحلى بالفيوضات الربانية ، ويرى برؤيا العين لا برؤيا المنام ما شاهده فى مسراه ، وينظر مابعد السموات السبع ، من أمور لا يعلم كنهها إلا الله تعالى ، وليست الرؤيا (بالألف) خاصة برؤيا المنام ، كما فهم بعض من فهم ، وأن الرؤيا فى الآية الكريمة غير يقظية وإن هذا لخطأ فان الرؤيا تشمل المنامية واليقظية ، قال السهيلى الرؤيا تكون بمعنى الرؤية أيضاً ومنه قول المتنبى : ورؤياك أحلى فى الجفون من الغمض ، وقال الإمام ابن دحية : قال أهل اللغة رأيت رؤية ورؤيا ، كقربة وقربى ، وقال الراعى يصف صائداً

وكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر قلباً كان جما بلا بله

على أن الرؤيا المنامية لا تكون فتنة للناس ، ولا يفتتن بها أحد ، ولا تكون معجزة ، ولا يتعجب الناس منها ، وهذه من أكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم ، وأعظم الآيات التى ثبتت ثبوتاً قطعياً بالبراهين البينات ، والحجج المحكمات ، والأنباء الصادقات ، أنها بالجسد والروح ، وإلا لما استدعت التعجب والاندهاش ، لأن الإنسان العادى فضلا عن النبى صلى الله

عليه وسلم ، يرى نفسه فى نومه، فى السماء أو يطير فى الهواء ويذهب من المشرق إلى المغرب ، ويسبح غائصاً فى مسابح الأسماك ، كل ذلك فيما لايتجاوز الثوانى، ثم يصبح ويحدث بما رأى، فلايستبعدأحدعليه مارأى، ولاتستدعى رؤيته التصديق والتكذيب، فكيف يستبعدون ذلك على خبر الصادق الأمين ، ويستغربون استغرابا كبيراً (وما التعجب والاستغراب إلا لازم من لوازم المعجزة) ولو كان مناما ما كانت مستغربة ولما وقعوا فى اندهاش شديد ، ترتب عليه التكذيب والتصديق والتصغير، ووضع الأيدى على الرءوس، أفلا يدل كل هذا على أنها بصرية ، يقظة بجسمه وروحه حقاً، وإلا لما افتتنوا بما أخبرهم به الصادق مسراه صلى الله عليه وسلم ، فضل من ضل واهتدى من اهتدى، وبان له أن الإسراء ما كان إلا تكريماً وتثبيتاً لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، الذى أرسله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، فمن سبقت لهم الحسنى، صدقوا وآمنوا وما كذبوا، ومن أضلهم الله كابروا وعاندوا وكذبوا . قال المطعم بن عدى،تزعم أنك أتيت بيت المقدس فى ليلة ، واللات والعزى لاأصدقك . فقال أبو بكر : يامطعم بئس ماقلت لابن أخيك، أنا أشهد أنه صادق:قال تعالى:

(ومنْ يُشَاقِقِ الرسولَ من بَعد ماتَبيَّنَ له الهُدَى ويَتَّبِع غير سبيلِ الْمُؤمنين نُوَلِهِ ماتَوَلَّى ونُصْلِهِ جَهَنَّمَ وساءت مصيراً)

اللهم إنا آمنا بما آمن به المؤمنون وصدقنا بما أخبر به الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم. وليس لنا أن نخوض فيما لاعلم لنا به ؛ قال تعالى : (ولا تَقْفُ ماليس لك به علم إنَّ السمع والبصر والفُؤاد كلُّ أولئك كان عنه مَسْئُولاً) وما علينا إلا أن نقف عند حد التفويض والتسليم بفضل هذا النبي الكريم والإيمان بما قام به من جهاد عنيف لإعلاء كلمة الله وتثبيت قواعد هذا الدين الحنيف ؛ وإسعاد النوع الإنسانى، وأنه صلى الله عليه وسلم، قد فاق جميع إخوانه الأنبياء فى الْخُلُق والْخَلْق، وأنهم لم يدانوه فى علم ولا كرم ، وامتاز عنهم بجميع أنواع الفضل

فهو الذى تمَّ معناه وصُورته
ثم اصطفاه حبيباً بارئ النَّسَمِ
مُنزَّه عن شريك فى محَاسِنِه
فجوْهَرُ الحسنِ فيه غير منقسِمِ

أعيا الورى فهمُ معناه فليس يُرَى
للقرب والبعد فيه غير منفحِمِ
أكرم بخَلقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خلقٌ
بالحُسنِ مُشتَمِلٍ بالبِشر متَّسِمِ

جاء فى الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (قال الله تعالى: سل يا محمد، فقلت: وما أسأل يارب؟ اتخذت ابراهيم خليلا، وكلمت موسى تكليما، واصطفيت نوحا، وأعطيت سليمان ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، فقال الله تعالى: ما أعطيتك خيرٌ من ذلك، أعطيتك الكوثر، وجعلت اسمك مع اسمى ينادَى به فى جوف السماء ، وجعلت الأرض طهورا لك ولأمتك، وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فأنت تمشى فى الناس مغفورا لك، ولم أصنع ذلك لأحد قبلك، وجعت قلوب أمتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ، ولم أخبأها لنبي غيرك) :

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن الله فَضَّل محمداً عليه الصلاة والسلام على أهل السماء ، وعلى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، قالوا : فما فضله على أهل السماء؟ قال : إن الله تعالى قال لأهل السماء : (ومن يقُل منهم إنِّى إله مِنْ دُونِهِ ، فذلك نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ، كذلك نجزى الظالمين) وقال

لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصراً عزيزاً) قالوا فما فضله على الأنبياء ؟ قال : إن الله تعالى قال : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) وقال لمحمد : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً و نذيرا) وعن عبدالله ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أنا النبي الأمى لا نبى بعدى أوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش) إلى غير ذلك من آيات فضله التى ليس لها حد ولا يأتى عليها الحصر

فحزت كل فخار غير مشترك

وحزت كل مقام غير مزدحم

وجلّ مقدارُ ما ولّيت من رُتب

وعز إدراك ما أوليت من نِعَمِ

صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين ، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين المصدقين، ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، إنك سميع مجيب الدعاء آمين.

نعيم رؤية الحق جل وعلا :

١ ـ فى الدنيا

بينا أن الإسراء خاصة كبرى ، اختص الله سبحانه بها نبيه وحبيبه محمداً صلى الله عليه وسلم ، فلما ارتقى المقامات العلا ، وأصبح فى مكان لم يطأه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، وكان سبحانه قد أمد له فى بصره وبصيرته ، ورفع عنه الحجب حتى رآه بلا كيفية ؛ لأنه تعالى منزه عن الحركة والإحاطة ، ولأنه جل ذكره تجلى إليه بنور كماله ، وصفة كبرياء جلاله ؛ فعم النور وحجب بصره فلم يدرك حقيقة مولاه ، إذ كمال النور يمنع الإدراك من غاية الظهور ، وما التجلى الإلهى للحضرة النبوية إلا بما يسعه نطاق القدرة البشرية من صفات جماله الصمدية ، فالتمع [1] بصره فقوى إدراكه حتى تمكن من مشاهدة ما فى تلك الحضرات ، التى يقصر العقل عن وصفها وبيان حقيقتها ، ثم إن الله تعالى بحوله وقوته وتمام نعمته على عبده ، قربه عند العرش ، فأبصر أمراً عظيما لاتناله الألسن ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه أن يمن عليه بالثبات حتى تستتم نعمته ، فتم

---

(١) أضاء ، والتمع به ذهب بصره

له صلى الله عليه وسلم ما أراد ، فقال : فمن الله على وقوانى ونور قلبي وغشى نور عرشه بصرى، فلم أر شيئاً فجعلت أرى بقلبي ولا أرى بعيني ، ورأيت من بين كتفى كما رأيت أمامى ـ : (اللهم لا تحجب قلوبنا عنك فى الدنيا ولا أبصارنا عنك فى الآخرة يا كريم ، واجعل وجوهنا ناضرة إلى ربها ناظرة)

وأما ذات الله سبحانه، لا يستطيع العقل أن يكيف رؤيتها فى الدنيا يقظة ومناماً ، لأنها منزهة عن الشكل والصورة ، قال صلى الله عليه وسلم : (تفكروا فى آلاء[1] الله ولا تفكروا فى ذات الله) وكل ما يخطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك : فالعقول لا تحيط به ، ولا تدركه ، الأبصار ولا تحده الأزمنة ولا الأمكنة ، واللسان يقصر عن البيان لهذه التكيفات، لأنها أمور ذوقية، لا تضبطها عبارة والله تعالى أعلم بالمراد ، قال بعض الصوفية .

حارت عقول الورى طُراً وقد عجزت ... وكلها عن جلال الله فى عَقَل[2]

إذ كل ما خامر الأوهام من صور ... مخلوقة مثلنا نزه ولا تَهِل[3]

(١) آلاء نعم — تفكروا فى نعمه لتعرفوا كمال قدرته وسائر صفاته .

(٢) عقل — حبس ومنع عن الكلام — عقل — المعنى أن العقول فى حيرة شديدة عن تكييف كنه العلى الأعلى .

(٣) لا يذهب وهمك إلى خلاف ذلك .

وإنما يمكن تقريبها بمثال من نور أو غيره من الصور الجميلة، التى تصلح أن تكون مثالا للجمال المعنوى الحقيق، الذى لاصورة له ولالون، ويكون ذلك المثال صادقا وحقاً وواسطة فى التعريف. ألا ترى أن كثيراً من الأشياء التى لاأشخاص لها ولا صورة ترى فى المنام بأمثلة تناسبها بأدنى معنى. ويمتنع الشبيه والمثيل قطعاً، كالمعانى المجردة، مثل الإيمان والشرف والقرآن والهدى والضلال، والكفر والحياة الدنيا، فمثل الإيمان بالقميص قال صلى الله عليه وسلم: «رأيت الناس فى المنام يُعرضون، منهم من قميصه إلى كعبه، ومنهم من قميصه إلى أنصاف ساقيه، فجاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهو يجر قميصه، فقالوا: يارسول الله ما أولت ذلك؟ قال الإيمان»، فجعل القيص له مثالا، وهو لاشكل له ولاصورة، ومثل الهدى والضلال بالعمى، ومثلت الحياة بالماء قال تعالى: (إنما مَثَلُ الحياةِ الدُّنيا كماء أنزلناه من السماء) والدنيا لاصورة لها ولاشكل.

فبان لك أن رؤية الحق فى الدنيا لا يطيق بشر أن ينظر اليها، لضعف تركيبه (وخُلِقَ الانْسَانُ ضَعِيفاً) اللهم إلا إذا ركبوا تركيباً غير تركيبهم الأول، ورزقوا قوة ثابتة أخروية، وجعل الله أنوار أبصارهم فى قلوبهم مستعدة للبقاء السرمدى،

ليستطيعوا أن يقووا بها على الرؤية ؛ إن جاز ذلك ؛ على أن الجواز لا يقتضى الوقوع. لأن الله سبحانه وتعالى لا يحد بالجهات ولا بالزمان والمكان ؛ ولا تحيط به الأبصار ؛ ورؤية النظر رؤية إحاطة وتحديد وتناه. والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك كله . (فأينما تولوا فثم وجه الله) فإن جوزنا ذلك فانه لا يمكن أن يكون لغير حضرة النبى صلى الله عليه وسلم ؛ لأن ذلك من خصوصيات المصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ ليراه بلا كيف ولا كيفية ؛ ومع ذلك فقد اختلف السلف والخلف فى ذلك اختلافا كبيراً ؛ فأثبت الرؤية حبر الصحابة وإمام السلف ؛ عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ؛ ونفت ذلك نفياً باتاً حضرة السيدة المبرأة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها. وقالت: إنما رأى جبريل على صورته التى خلق عليها مرتين ؛ واستدلت بأحاديث وقرآن ؛ كما استدل عبد الله بن عباس رضى الله عنهم جميعاً. وسنسرد أدلة كل إن شاء الله ؛ ولعلنا نوفق للتوفيق بين الرأيين والجميع بينهما بفضل الله ؛ والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

أما رؤية الله تعالى فى الآخرة ؛ فانها لا شك فيها وعليها الإجماع وسنفردها بباب خاص إن شاء الله

رأى السلف

حدثنا بن أبى عمر أخبرنا سفيان عن مجالد عن الشعبى قال: لقى ابن عباس كعب الأحبار بعرفة ، فسأله عن شىء[١] فكبر كعب حتى جاوبته الجبال ، فقال ابن عباس إنا بنو[٢] هاشم فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلم موسى ربه مرتين ، ورآه محمد مرتين ، وكان مسروق بن الأجدع حاضراً ، قال: فدخلت على عائشة، فقلت: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: تكلمت بشىء[٣] قَفَّ له شعرى ، قلت: رويداً ، ثم قرأت: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فقالت: كيف يغيب فهمك عن أشياء ، وكان ينبغى أن تكون مستحضرها، ومعتقداً كذب من يدعى وقوعها ، وفى رواية فقالت: أين يذهب بك ؟ إنما هو جبريل . من أخبرك أن محمداً رأى ربه. أو كتم شيئاً مما أمر به أو يعلم الخمس التى قال الله: (إن الله عنده علم الساعة) الخ فقد أعظم الفرية[٤]. ولكن رأى جبريل ، ولم

(١) فكبر — كأنه استعظم ما سأل عنه .

(٢) أى نحن أهل العلم لا نسأل إلا عن مستبعد ومن ثم فكر فاجاب .

(٣) قف — قام من الفزع .

(٤) الفرية — الكذب ، وافترى عليه كذبا اختلقه .

يره فى صورته إلا مرتين ، مرة عند سدرة المنتهى ، ومرة فى جياد ، له ستمائة جناح قد سد الأفق. ثم قرأت : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) وقرأت ، (وَمَا كان لِبَشر أن يكلِّمه الله إلاَّ وَحْيًا أوْ من وَراءِ حِجَابٍ أوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فيوحِى بإذنه مايشاء إنه عليم حكيم) فالذى نفته السيدة الجليلة الإدراك الذى هو بمعنى رؤية العظمة والجلال على ما هو عليه ، لتعاليه عن الرؤية التى هى إدراك ببعض الحواس وذلك إنما يصح فيما كان فى جهة ، وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون فى جهة ، وقد رأى جمع من الصحابة رضوان الله عليهم ، وجماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين ، رأى السيدة الجليلة واستعظموا ذلك واستبعدوه عن العين الباصرة ، لأنه غير ممكن للبشر ، ولا للملائكة ، فهو سبحانه يحيط بها ويعلمها على ما هى عليه لأنه خلقها ، قال تعالى : (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) وقال : (يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير) ، قال الحافظ عثمان بن سعيد الدارمى : رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لربه بعينى رأسه يقظة ، مسألة خلاف بين السلف والخلف ،

وإن كان جمهور الصحابة بل كلهم ينكرون الرؤية، كعائشة رضى الله عنها ؛ لأنها خارجة عن دائرة الإمكان فقولنا رأى النبى صلى الله عليه وسلم ربه ليس معناه أنه رأى ذاته، بل رأى مثاله المنزه عن المساواة له فى جميع صفاته، قال تعالى : (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) فلا مماثلة بين نور الله سبحانه وبين الزجاجة والمشكاة والشجرة والزيت ، إنما ذلك تمثيل محاكٍ لمناسبات معقولة من صفات الله تعالى، وهذا ماورد الإذن به فى حق الله تعالى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيت ربى فى أحسن صورة) وليس المراد فى صورة الذات ؛ إذ الذات لا صورة لها إلا من حيث التجلى بالمثال ، كما تجلى جبريل فى صورة دحية الكلبى وغيره ؛ فرآه صلى الله عليه وسلم مرارا كثيرة ؛ وما رآه فى صورته الحقيقية إلا مرتين ؛ ورؤيته لجبريل فى صورة دحية وغيره رؤية مثال ؛ قال تعالى : (فتمثل لها بشرا سويا) وهذا التمثيل لا استحالة فيه ؛ نضرب لله تعالى ولصفاته الأمثال وننزهه عن المثل (ليس كمثله شىء) وأما عن المثال فله المثل الأعلى ؛ وإنما الاستحالة فى المثلية التى هى المساواة فى جميع الصفات ؛ فاذا أنعم الله سبحانه على عبد من عبيده المخلصين ، وتفضل

عليه بالالتذاذ برؤيته فى الدنيا، مناما أو يقظة ؛ أقام له مثالا يتخيله فى عقله مطابقا لقوله تعالى : (ولا يحيطون به علما) وقال تعالى: (ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء) أى لا يحيطون بشىء من معلوماته التى هى مظاهر أسمائه ؛ إلا بما شاء فإذا شاء لعبد من عباده ذلك ؛ يفنى العبد عن شهود نفسه عند التجلى وتتجرد الروح ، لترى ربها كما يراه الملائكة ؛ لأنه إذا أشهدك تعالى نفسه أفناك عن نفسك ؛ (وقد قيل إن سيدنا موسى عليه السلام قد أفناه لما تجلى للجبل ثم أحياه) ؛ وكما يحصل ذلك لأهل القلوب . من معاينة أسرار الغيوب ؛ فاذا تقاصرت الفهوم عن الإحاطة بشىء من معلوماته ؛ فأى طمع لها فى الإحاطة بذاته ؛ هيهات هيهات ؛ قال بعض أهل الاشارات : أنّى لخفاش الفهم أن يفتح عينيه فى شمس هاتيك الذات ؛ لأن ذاته تعالى وصفاته وراء طول العقول ؛ فحكمها فيها غير مقبول ؛ فأكُفُّ الكيف مشلولة ؛ وأعناق التطاول إلى معرفة الحقيقة مغلولة ؛ وأقدام السعى إلى التشبيه مكبّلة[1] ؛ وأعين الأبصار والبصائر عن الإدراك والإحاطة مُسمَّلة[2] ؛ فكما لا تدركه العيون بأبصارها ؛

(١) مقيدة بقيد ضخم .

(٢) مفقوءة العين — والسمل أن تفقأ العين بحديدة محماة أو بغير ذلك قال أبو ذؤيب يرثى بنين له ماتوا :

فالعين بعدهم كان حداقها سملت بشوك فهى عور تدمع

لاتدركه البصائر بأعينهـا . وقد جاء فى الخبر عن سيد البشر رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه قال: (إن الله تعالى احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم) اهـ وقال بعضهم.

كل ماترتقى إليه بوهم من جلال ورفعة وسناء
فالذى أبدع البرية أعلى منه سبحان مبدع الأشياء

وللشريف المقدسى فى كتابه حل الرموز قصيدة طويلة فى التنزيه تجلو عن القلب دَرَنَ التشبيه نذكر منها

ظننت جهلا بأن الله تدركه
ثواقب الفكر أو تدريه إيقاناً
الله أعظم شأناً أن يحيط به
علم وعقل ورأى جلّ سلطاناً
وإن قيل أين فقل حيث اتّجهت تجد
مولاك ماغاب طـــرفا ولا بانا
هو الذى فوق كل الفوق رتبتـه
وحيث كنت وجدت الله ديانا
من ظن جهلا بأن العرش يحمـــله
قد افترى واجـــترى ظلماً وعدوانا

العرش والفرش والكرسى صنعته

وقـــد براهن إحكاما وإتقـــانا

العرش يطلب من قـــد عز مطلبه

ولم يزل فى طلاب الله ولهـــانا

إلى أن قال :

هـــذا اعتقادى فان قصرت فى عمل

فأسأل الله توفيقـــاً وغفـــرانا

فاذا عوين الله تعالى، فلا يعاين إلا من حيث العلم والمعتقد، والله سبحانه أجل من أن يحاط بذاته؛ قال بعض أهل البصيرة: ليس فى الدار غير ديّار؛ فهو من غاية ظهوره باطن، ومن نهاية بطونه ظاهر ؛ وفى عين أبديته أول، وفى عين أزليته آخر، وغيره كالهباء فى الهواء ؛ والسراب فى نظر مُشْتاق الشراب ؛ وإلا فما للتراب ورب الأرباب، والله تعالى أعلم بالصواب اهـ. فاذا لم يحيطوا به علماً ، فكيف يحيطون به جِرما ، وأين للعدم حتى يقلب القدم، قال أكثر المتكلمين من الفرق: لا يجوز رؤية الله تعالى فى المنام، فضلا عن اليقظة ؛ لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم، واحتجوا فى ذلك بأن ما يراه النائم يكون مصورا لا محالة، وفيه خيال ومثال، وذلك محال على الله القديم ، لأنه لا مثال له جل

ذكره ؛ قال تعالى : (فلا تَضْرِبُوا لِلّهِ الأَمْثَال) ، وقال جل ذكره : (ليس كمِثْله شيء) وقال تعالى: (لم يكن له كفوا أحد) والذى عليه جمهور مشايخ السلف رضى الله تعالى عنهم: أن يجوز رؤية الحق سبحانه وتعالى فى صورة فى المنام إذ لا شيء فى الأكوان ؛ أوسع من عالم الخيال ؛ قال محمد بن سيرين: من رأى ربه فى المنام دخل الجنة ؛ ولا يلزم من الرؤية التحديد ولا الإحاطة ، ولا الجهة ولا الادراك ، لأن بعض مخلوقاته سبحانه ؛ نراها ونعلم بالقطع أنها محدودة ، ولكن لا نحيط نحن بها ؛ مثل السماء والأرض ؛ نحن ندرك كل واحدة منها ، ونبصرها ولا نحيط بها ؛ ونحن نعلم بالضرورة أنها محصورة محدودة ؛ فكيف بمن ليس كمِثله شيء . ونرى من خلقه كثيراً ؛ وليس هم فى جهة مثل الليل والنهار ؛ فإنا نبصرهما وليسا فى جهة فكيف بمن ليس كمثله شيء ؛ وأننا نبصر من بعض مخلوقاته ما نبصره ولا ندرك منه حقيقة صفته ؛ كالماء فإننا نبصره ونشربه ولا نعلم له لونا لأنه كلما جُعل فى شيء يكون لونه لون ذلك الشيء ؛ وحقيقة لونه القائمة به لا يدركها أحد ؛ ولم يقدر أحد من المحققين أن يخبر عنها بلون ما ؛ فكيف بمن ليس كمثله شيء ؛ فان قلنا إن الرؤية تكون ، فلابد من مثال يليق ، ويكون تجليه فى ذلك

المثال ، كتفهيم المولى سبحانه كلامه القديم . فكذلك يجوز أن تكون ذاته الأزلية المنزهة عن الصورة والشكل ، ترى بمثال يناسبها ، كالحروف والأصوات التى تكتب فى اللوح ، ثم يُمحى اللوح ويبقى القرآن فى الحفظ ، هذا كله راجع إلى غير حضرة المختار المصطفى صلى الله عليه وسلم ، الذى اختصه الله تعالى بالمقام الرفيع ، وأسرى به ليرى من دلائل ملكوته وعجائب قدرته مايرى ، ويطلع على الكوائن كلها ، حتي يظهرله مايراد من أمر الله تعالى وتدبيره فى خلقه ، فيدنيه منه دنو مكانة ، وقرب لادنو مكان وقرب زمان ، ليشاهد أسرار غيبه وقدرته ، مما لم يطلع غيره عليه ، إظهاراً لفضله ، ولأنه صلى الله عليه وسلم لم يؤته أحد من قبله ، فالله سبحانه قد أودع قلبه من المعرفة والإيمان ما به تدلى إلى ما أدناه إليه دنو قرب وهذا كناية عن جزيل عطائه وجميل ملاطفته وتأنيسه ، لاستيحاشه بانقطاع الأصوات عنه ، ولم يلتفت بصره ولا قلبه إلى غير ما أقيم فيه ألبتة ، ولم يسأل حتى قال له ربه سل يا محمد ، وتجلى عليه قال تعالى: (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى) فغشيتها أنوار الخلاق ذى الجلال ، وتجلى لها كما تجلى للجبل ، فكانت هذه الأنوار أقوى من أنوار تجليه للجبل ، فتدكدك الجبل

وخر موسى مغشيا عليه ، ولم تتحرك الشجرة ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم بل ثبت (ما زَاغَ البَصرُ وما طَغى) قال العارف بالله البرعى :

وإن قابلت لفظة لن ترانى بما كذب الفؤاد فهمت معنى
فإن الله كلم ذاك وحيا وكلم ذا مشافهة وأدنى
فموسى خرّ مغشيا عليه وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنا

فمحمد صلى الله عليه وسلم كان فى مكانته هذه التى اختصه الله بها ، ملكيا صرفا ونورانيا حقا فى مكان لا يعلم حقيقته إلا مولاه والله سبحانه بتجليه عليه أعطاه ما أعطاه ، فهذا سر مكتوم ، وغيب محتوم لم يطلع عليه ملك مقرب ولا عرفه نبى مرسل ، فالتوقف عن ذلك لازم ، والتفويض للحق سبحانه وتعالى واجب ، ولنا فى السلف الصالح خير قدوة ، فإنهم مع اختلافهم فى إثبات الرؤية ونفيها لم يمكنهم أن يبينوا كيفية الرؤية ولا حقيقتها ، لانعدام المناسبة لأن الله سبحانه قديم ذاتى ، فإذا رزق الله تعالى من شاء من عباده قوة تطيق رؤيته ومكنه من حمل أعباء مشاهدته لا كتسابها صفة البقاء ، فإن ذلك لا يمكن أن يكون ، لأن من اصطفاه وقربه وناجاه بلا كيفية ، صلى الله عليه وسلم واتخذه حبيبا ، وخليلا وكلمه فى عليين ،

غشيته أنوار ذى العزة والجلال ، فلم يستطع رؤية الجبار ، وأنى يراه ! وفى مسلم من حديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن رؤية ربه ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال : (نُورٌ أنَّى أراه) معناه أن النور منعنى من الرؤية ، فكيف أراه أى أن النور غشى البصر وحجبه عن رؤية ماوراءه ، وسأل مروان أبا هريرة رضى الله عنه ، هل رأى محمد ربه ؟ قال : نعم وفى رواية قال : لم يره ، فلم يستطع أبو هريرة الجزم لاستعظام ذلك ، لأنه مستحيل أن تكون ذات الله تعالى ، نوراً لأن النور من جملة الأعراض ، والله تعالى منزه عنها ، تعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً ، وروى مسلم فى كتاب الفتن ، فى صفة الدجال قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لن يرى أحد ربه حتى يموت) وفى رواية أخرى من حديث مرفوع : (اعلَمُوا أنكم لن تَرَوْا ربكم حتى تَمُوتُوا) . وخرجه ابن خزيمة فى صحيحه من حديث أبى أمامة الباهلى ، وعبادة بن الصامت ، فاذا جازت الرؤيا فى الدنيا عقلا فقد امتنعت وقوعا ، بقوله صلى الله عليه وسلم حتى تموتوا ، وهذا أفقه أهل زمانه مسروق فيما يرويه عن السيدة أم المؤمنين رضى الله عنها ، فإنه

حين سألها عن إثبات ابن عباس رضى الله عنهما أخبرته بما يخالف رأى ابن عباس رضى الله عنهم

روى مسلم من طريق داود بن أبى هند القشيرى ، عن الشعبى عامر بن شرحبيل ، عن مسروق قال : وكنت متكئاً فجلست ، فقلت : ياأم المؤمنين أنظرينى ولا تعجلينى ألم يقل الله عز وجل: ولقد رَآهُ بالأفُقِ الْمُبِين، وَلَقَد رآه نزلة أخرى؟ فقالت أنا أول هذه الأمة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقلت : يارسول الله هل رأيت ربك ؟ قال : (لا ، إنما رأيتُ جبريل ، لم أرَهُ على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته مُنْهَبِطاً من السماء سادًّا مابين السماء والأرض) خرجه مسلم فى كتاب الإيمان وابن مردويه عن مسروق ، وهذا حديث قاطع لكل تأويل فى اللفظ لأن قول غيرها إنما هو منتزع من ألفاظ القرآن ، وأن ابن عباس لم يقل بالرؤية إلا عن سماع ، فلو رأى النبى صلى الله عليه وسلم ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك لمن سأله ، وإنما كان إخباره صلى الله عليه وسلم بعدم الرؤية ، قال ابن أبى حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال:قالوا: يارسول الله ، هل رأيت ربك ؟ قال : رأيته بفؤادى مرتين ثم

قرأ (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مارأى) . وروى ابن جرير مثله عن ابن حميد وفيه : لَمْ أَرَهُ بعيني ورأيته بفؤادى مرتين ثم تلا الآية

ولو سلمنا الرؤية لكانت النتيجة اللازمة لهذه الرؤية والذي يجب الإيمان به ، أن الجناب المحمدى السامى الحنيف ، رأى ربه بلا تكييف ولا إحاطة . إذ البحث عن الكيفية لا يجوز ، ولا تسعه العقول . بل نقول رآه بلا كيفية كما أننا نقول إنه موجود بلا كيف ومن يؤمن بوجوده بلا مكان ولا زمان ولا أول ولا آخر ، ليس كمثله شيء وهو بكل شيء عليم ، ووسع علمه كل شيء ، يؤمن بالرؤية بلا تكييف ولا إحاطة ، وإن قلنا : إنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه جل وعلا ببصره ، فإن حالته صلى الله عليه وسلم وقت الرؤية كانت حالة البصيرة ، وقد قال : ذلك حبر الأمة رضى الله عنه ، حين سئل عن كيفية الرؤية فقال : جعل بصره فى بصيرته ورآه بفؤاده ، وبهذا يمكن الجمع بين الإثبات والنفى ، قال الإمام على كرم الله تعالى وجهه : وقد سئل بم عرفت ربك ؟ عرفته بما عرفنى به نفسه ، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس ولا يُشَبَّهُ بالناس ، قريب فى بعده بعيد فى قربه ، فوق كل شيء ، ولا يقال تحت شيء ، أى أنه تعالى مع غاية بعده عن الإدراك ، قريب بعلمه أو بصفاته ، وبعيد عن

العقول ، مع قربه بما ذكر ، فوق كل شيء بالتعالى والعظمة ، ولا يقال تحت شيء وإن كان مع كل شيء ، فهو مع صاحب كل أينٍ بلا أين لتعاليه عن المكان ولوازم الإمكان. وقيل للصديق رضى الله تعالى عنه : بم عرفت ربك ؟ قال : عرفت ربى بربى ولولا ربى ماعرفت ربى ، فقيل له: وهل يتأتى لبشر أن يدركه؟ فقال : العجز عن دَرْك الإدراك إدراك ، وما معنى الإدراك ، إلا الوصول إليه والإحاطة به وهذا مستحيل إذاً لاتصل إليه الأبصار ولا تحيط به . قال الشاعر:

العجز عن درك الإدراك إدراك والبحث عن سرّ كنه الذات إشراك

وقال غيره :

لا يعرف الله إلا الله فاتئدوا والدين دينان إيمان وإشراك
وللعقول حدود لا تجاوزها والعجز عن درك الإدراك إدراك

والدرك بفتحتين وقد تسكن الراء : أقصى قعر كل شئ ذى عمق ، فكأنه شبه الإدراك بالبحر على سبيل الاستعارة المكنية ، وأثبت له الدرك تخييلا مراداً به نهاية الإدراك ، التى هى معرفة الذات العلية ، يعنى أن عجز العقول ، عن الوصول إلى هذه المعرفة التى هى نهاية الإدراك ، ناشئ عن كمال الإدراك وأن إدراك هذا العجز إدراك عظيم ، يعنى أن البحث عن الأمر

الخفى عن الخلق الذى هو كنه ذات الله تعالى إشراك ،أى مؤد إلى الاشراك (الكفر) وذلك لأن النفوس المألوفة بصور الممكنات ، لا يحصل فيها غيرها ، فكلما تفكرت النفس فى ذات الله تعالى لا يحصل عندها إلا صورة شىء من الممكنات ، فيؤدى قصد معرفة الكنه إلى جعل صورة شىء من الممكنات صورة له تعالى . وهو قول بكونه جسما كالأجسام ، وهذا كفر لا يقول به إلا :

مُجَسِّمٌ من ظلام الكفر فى ظلل

سبحان خالقنا قد جل عن مِثْل

والبحث عن كنه الذات قد نهانا عنه البشير النذير صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذا يمكن النظر فى قول من يقول بالرؤية البصرية مع أنهم قد اختلفوا فى ذلك كثيرا ، لعدم صحة حديث للمصطفى صلى الله عليه وسلم صريح بذلك ، وهذا إمام القائلين بالرؤية رضى الله عنه والأشعرى وأصحابه لا يؤيدون قولهم بحديث صحيح مرفوع أو موقوف ، ولذا تجدهم مرة يقولون رآه بعينى رأسه وأخرى يقولون رآه بقلبه ، وجاء ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما نفسه فى أخبار مطلقة دالة على الرؤية ولم يعين بالقلب أم بالعين رأى . وجاءت عنه أخبار مقيدة بالقلب ومرة

بالعين بلا كيف. عن ابن عباس وعروة وكعب وغيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربَّه بعينه بلا كيف ولا تشبيه ، وخرج النووى فى شرح مسلم أن إسحق ابن يسار روى عن ابن أبى سلمة أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله ، هل رأى محمد ربه ؟ قال : نعم ؛ فإذا حملنا المطلق على المقيد حملا بقاعدة حمل المطلق على المقيد ؛ فاذا عارض المطلق مقيدان فلا نقيده بواحد دون الآخد ؛ فإن أمكن الجمع بالتعدد وجب المصير إليه ؛ وإذا لم يمكن رجعنا للمطلق ؛ فمن رواية المطلق ماروى عن ابن عباس وأخرجه النسائى باسناد جيد وصححه الحاكم من طريق عكرمة ؛ عن ابن عباس ؛ أنه قال : (أتعجبُون أن تكون الخُلّةُ لإبراهيمَ ، والكلامُ لموسى ، والرؤيةُ لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وخرَّجه ابن خُزيمة بلفظ ؛ إن الله اصْطفى ابراهيم بالخلة وموسى بالكلام ومحمداً بالرؤية) والأغرب أن تفريق هذه الخصائص قد اجتمعت لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فقد اصطفاه حبيباً وخليلا وكلمه تكليما ، لا فوق الجبل ولكن فى أعلى سماء فى حظائر قدسه بلا واسطة ، قال الأشعرى : كل آية أوتيها نبى فقد أوتى النبى صلى الله عليه وسلم مثلها وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ؛ ومن أحاديثه

المقيدة ما خرّجه مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى. (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) قال : رأى ربّه بفؤاده مرتين) ولمسلم من طريق عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : (رآه بقلبه) وروى الطبراني في الأوسط باسناد رجاله رجال الصحيح عن ابن عباس أنه كان يقول ، (إن محمداً رأى ربه مرتين ، مرة ببصره ومرة بفؤاده) ومعنى رآه بفؤاده جعل بصره في فؤاده أو خلق لفؤاده بصراً حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين وحكى عبد الرازق الصنعاني عن معمر بن راشد عن الحسن البصري أنه حلف أن محمداً رأى ربه ، وبه قال سائر أصحاب ابن عباس ، وقال الأشعري وجماعة من أصحابه ، أنه صلى الله عليه وسلم رأى الله ببصره وعيني رأسه . من ذلك يتضح أن الروايات لم تكن ثابتة في إثبات الرؤية ، وما روى عن ابن عباس وأصحابه لا يمكن الجمع بينهما ولا يمكن الأخذ بواحد منها ولكن يحمل إثبات ابن عباس رضي الله عنهما على رؤية الفؤاد ، ونفي السيدة الجليلة عائشة رضي الله عنها على رؤية البصر ، ونفي رؤيته تعالى ، في نوره الذي هو نوره المنعوت بأنه لا يقوم له بصر ، ويحمل قول ابن عباس رضي الله عنهما

على ثبوت رؤيته فى نوره الذى لا يذهب بالأبصار ، لقوله لِعِكْرِمَة : ويحك ، ذاك إذا تجلى بنوره الذى هو نوره ؛ أوعلى رؤية القلب وبهذا يستقيم العلم ، ويمكن الجمع بين الإثبات والنفى ، وتكون الرؤية فى الدنيا وإن جازت عقلا ، فإنها مستحيلة سماعا لتحديد البصر لما يراه ، والله تعالى منزه عن التحديد والتمكين والحركة والإحاطة ، وتكون الخصوصية التى اختص الله بها سيد خلقه لرؤيته رؤية مكانة وقرب . وقد جاء عن ابن خزيمة عن بعض الصحابة ، قلنا يا رسول الله : هل رأيت ربك ؟ قال : لم أره بعينى ، رأيته بفؤادى مرتين .

من هذا تعلم أنه بالرجوع إلى مختلف الروايات السابقة عن ابن عباس رضى الله عنهما من رد المطلق على المقيد برؤية البصر والفؤاد ، ورؤية الفؤاد والبصيرة لا البصر ، فيما ذهبت إليه أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها ، يمكن الجمع بين النفى والإثبات ، ويحمل النفى على البصر والإثبات على البصيرة ، وتكون النتيجة أنه لم يره ببصره فى الدنيا ، وعليه حكى القاضى عياض ، امتناع الرؤية فى الدنيا عن جماعة من المحدثين . وجزم القشيرى فى الرسالة بأنها لا تجوز فى الدنيا على جهة الكرامة وادعى حصول الإجماع عليه ، وقال : سمعت الإمام

أبا بكر بن فورك يحكى عن إمام أهل السنة والجماعة أبى الحسن الأشعرى فى كتاب الرؤية الكبير ، فى ذلك قولين ، أحدهما فى جواز الرؤية ، والثانى فى المنع . وأجمعوا على وقوعها فى الآخرة للمؤمنين ، كما تواتر به الأحاديث ونطق بذلك القرآن الكريم ، روى صهيب رضى الله عنه أنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية :(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال النبى صلى الله عليه وسلم : (إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يشتهى أن ينجزكموه ، قالوا : ماهذا الموعد؟ ألم يثقل موازيننا وينضر وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيرفع الحجاب فينظرون إلى وجه الله عز وجل ، قال : فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر) فهذه الزيادة هى رؤية الحق سبحانه والنظر إليه .

قال سعيد بن جبير : لا أقول رآه ، ولا لم يره ، وذهب إلى ذلك ، جماعة من المحققين ، وقال بعضهم إن الإجماع على ذلك ، وقواه بأنه ليس فى الرؤية ، دليل قاطع ، وغاية مااستدل به الطائفتان ، ظواهر متعارضة قابلة للتأويل ، فهذا ابن عباس رضى الله عنهما حين استدلت السيدة عائشة رضى الله عنها ،

بقول الله سبحانه (لاتدركه الأبصار) قال : ذاك إذا تجلى بنوره ، الذى هو نوره ، فالأبصار جمع بصر ، وهى الحاسة التى بها يدرك الإنسان المحسَّات التى لها طول وعرض وعمق وجهة،والبصيرة جمع البصائر وهى القوى المدركة لغير المحسوس من العقل ونحوه ، فلا تحيط به الأبصار ، أى لاتدركه إدراك إحاطة بذاته جل وعلا . لاقتضائه التحديد والتناهى ممَّا هو منزه عنه سبحانه .

والإدراك العلم أى لاتعلم كنهه حقيقةً عقولُهم ، إدراكا يقينياً تاماً ، فلا رؤية ولا تصور ولا اكتناه ، أى إن رؤية الله تعالى فى الدنيا ممكنة وفى الآخرة واقعة للمؤمنين ، محجوبة عن الكافرين : (كَلَّا إِنَّهُم عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ) .

ومن حيث إنه لاأثر قاطع متواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم بالرؤية البصرية ، وأن ابن عباس رضى الله عنهما لم يسند حديثه إلى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم وإنما أخبر بذلك عن اعتقاد ، وليست المسألة من العمليات ، فيكتفى فيها بالأدلة الظنية ، وإنما هى من المعتقدات ، فلا يكتفى فيها ، إلا بالدليل القطعى ، ولا دليل قطعى لابن عباس رضى الله عنهما ، فقد ثبت حمل إثباته الرؤية رضى الله عنه على رؤية الفؤاد ، وبذا

يكون نفى السيدة عائشة مساوياً لإثبات ابن عباس رضى الله عنهم ؛ لاسيما وأنها أردفت نفيها بدليل ورفعته إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا ما أمكن المصير إليه ، وما علينا إلا الاعتقاد بالغيب :

سر من الأمر جل الله خالقه وإنما خاض فيه القوم بالجدلِ

ونمسك عن الخوض فى هذا المعتقد ونرى رأى السيدة عائشة رضى الله عنها أو التوقف كما ذهب معظم أهل التحقيق ؛ وذلك أسلم والله بمراده عليم وجبير .

قال بعض أهل الإشارات : « كأنَّ الله تعالى قال له صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، قد أعطيتك نوراً تنظر به جمالى وسمعا تسمع به كلامى ، إنى أعرفك بإسان الحال ، معنى عروجك إلى ، يا محمد ، أرسلتك إلى الناس شاهداً وبشيراً ونذيراً ، والشاهد مطالب بحقيقة ما يشهد به ، فأريك جنتى ، لتشاهد ما أعددت فيها لأوليائى ، وأريك نارى لتشاهد ما أعددت فيها لأعدائى ، ثم أشهدك جلالى ، وأكشف لك عن جمالى ، لتعلم أنى منزه فى كمالى عن الشبيه والنظير ، والوزير والمشير اه فرآه صلى الله عليه وسلم بالنور الذى قواه من غير إدراك ولا إحاطة ، فرداً صمداً لا فى شىء ، ولا من شىء

ولا قائما بشيء ولا على شيء ، ولا مفتقراً إلى شيء. ليس كمثله شيء . فلما كلمه شفاهاً ، وشاهده كفاحا (لقيه مواجهة) قيل يا محمد لا بد لهذه الخلوة من سر لا يذاع ورمز لا يشاع فأوحى إلى عبده ما أوحى فكان سراً من سر لم يقف عليه غيره صلى الله عليه وسلم من نبي مرسل ولا ملك مقرب .

٢ — فى الآخره

قام الإجماع سلفاً وخلفاً على أن رؤية المؤمنين لربهم سبحانه فى الآخرة واقعة لا محالة ، قال : تعالى (وُجُوهٌ يومَئذٍ ناضرةٌ إلى ربها ناظرة) وقال سعد الدين التفتازانى : لا خفاء فى أن إثبات وقوع الرؤية لا يمكن إلا بالأدلة السمعية وقد احتجوا عليه بالإجماع والنص ، أما الإجماع فاتفاق الأمة قبل المخالفين على وقوع الرؤية ، وكون الآيات والأحاديث على ظواهرها حتى روى حديث الرؤية أحد وعشرون رجلا من كبار الصحابة رضى الله عنهم ، وأما النص فمن الكتاب ، قوله تعالى (وجوه يومئذ الخ) وقال : إمام دار الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، الامام مالك رضى الله عنه : لما حجب أعداءه فلم يرَوْه ، تجلى لأوليائه حتى رأوه ، ولو لمْ ير

المؤمنون ربهم يوم القيامة ؛ لم يعير الكفار بالحجاب ؛ قال : (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) ثم قال : إن الناس ينظرون إلى الله بأعينهم ؛ ولو لم ير المؤمنون ربهم ، لم يعذب الكفار بالحجاب ؛ . وقال : الشافعى رضى الله عنه ؛ لما حجب الله قوما بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا اهـ. أخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ؛ أن الناس قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ، قال : (هل تمارون [1] فى القمر ليلة الْبَدْرِ ليس دونه سحابٌ . قالوا : لا يا رسول الله، قال : فهل تمارون فى الشمس ليس دونها سحاب، قالوا : لا يا رسول الله قال (فإنكم ترونه كذلك) والحديث بطوله فى البخارى ، وجاء فى رواية أخرى(ستَرَوْنَ ربكم كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ ليلة الْبَدْرِ) وروى ابن أبى شيبة عن ابن حميد والترمذى والحاكم ، وابن مردويه ، وابن المنذر والطبرانى وابن جرير والدارقطنى والبيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ أنه قال . (أدْنى أهل الجنة مَنْزِلَةً من ينظرُ إلى جِنَانه وأزواجه ونَعيمه وخدمه مَسِيرَةَ ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى الله غُدوة وعشية

---

(١) الامتراء — الشك — المماراة المجادلة أى لا جدال فى ذلك .

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وجوهٌ يومئذ ناضرةٌ إلى ربها ناظرةٌ) وروى البخارى فى التفسير (إنكم سترَوْنَ ربكُمْ عيانا) لحديث أبى سعيد وأبى هريره وهما فى الصحيحين أن ناساً قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : هل تُضارون[1] فى رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب؟ قالوا : لا ، قال : فإنكم ترون ربكم كذلك . وفى الصحيحين عن جرير ، قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال : إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، فإن استطعتم ألا تُغلَبوا على صلاه قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا). فما نفَى رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة أحد ولا قال أحد قديماً وحديثاً بأنها غير إجماعية وإنما الكل مجموعون على أن الله سبحانه وتعالى يتجلى لعباده المؤمنين كما يشاء، فأما جلاله وعظمته على ما هو عليه تعالى وتقـــدس وتنزه، فلا تدركه الأبصار ، ولهذا كانت أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها تثبت الرؤية فى الدار الآخرة بصرية وتنفيها فى الدنيا عينية ، وتحتج بآية (لا تُدْرِكُه الأبْصَارُ) وأن الأبصار فى

---

(١) تضارون — بتخفيف الراء من الضير ، وتشديدها من الضر — والمعنى ، لا يضايق بعضكم بعضا فى الرؤية .

الآخرة تراه متفرقة فى مطالعة جماله ، وتكون بلا اكتناه عن المتابعة والجهة والمكان ، لأنها نسبة خاصة بين طرفى راء ومرئى ، وقد يرزقون أبصاراً باقية ، لأن البقاء الأبدى علة لصحة الرؤية ، ويرزقون قوة معدة لصحة النظر ، ليكون بين الرائى والمرئى مناسبة ، وهى الدوام والبقاء الذى يكسبنا رؤية الحى القيوم ، وقد تواترت الأخبار عن أنس وأبى هريرة وأبى سعيد بن مالك ، وجرير البجلى ، وصهيب بن سنان ، وبلال المؤذن وغيرهم من الصحابة والتابعين والمحققين من أجلاء علماء السلف والخلف ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن المؤمنين يرَوْنَ الله تَبَارَكَ وتعالى فى الدَّار الآخِرة فى العَرَصَات [1] وفى رَوْضات الجَنَّات) جعلنا الله تعالى منهم إن شاء الله .

سبحان من لا يعلم قدرَه غيرُه ، ولا يبلغ الواصفون صفته . وله الحمد والمنة ، على ما أولانا من نعَمِه التى لا تحصى ، ومكارم ألطافه التى لا تستقصى ، سبحانه لا نحصى ثناء عليه ، ولا نفى بأداء واجب الشكر إليه .

لك الفضل يا مولاى والشكر والحمـــــد
فما زلت تولى الخير مـــــذ ضمنى المهدْ

---

(١) العرصات — جمع عرصة — وهى المكان المتسع .

وإن رمتُ أنْ أحصى جميلَكَ لم أُطِقْ
فما الجميل قد مننت به حَدُّ

إلهى لك الحمد الذى أنت أهله على نعم ما كنت قط لها أهلا
أزيدُك تقصيراً تزيدُ تفضلا كأنى بالتقصير أستوجب الفضلا

وثقت بعفو الله عنى فى غد
وإن كنت أدرى أننى المذنب العاصى
وأخلصْتُ حُبِّى فى النبى وآله
كفى فى خلاصى يوم حشرى إخلاصى

متع الله أبصارنا جميعاً بالنظر إلى وجهه الكريم وشرف أسماعنا بسماع كلامه القديم؛ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء والمرسلين وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهجرة ــ ماده اللغة

هجر يهجر هَجرا ، وهجرانًا ، قطعه ، والهَجر ، ضد الوصل ، يقال : هجرت الشيء هَجراً وهُجراً ، إذا تركته وأغفلته ، وهجر فلان الشرك هَجراً وهِجرانًا وهِجرةَ ، والهجرة ، والهُجرة الخروج من أرض إلى أرض أخرى ، ومن دار الكفر إلى دار الإيمان ، وقد هاجر البدوى يهاجِر مهاجرة: خرج من بادية إلى المدن ، وانتقل إليها لخلل بمسكنه ، أو لضيق لحقه ، أو لإيذاء من قومه ، فقد هاجر قومه مهاجرة ، وأصل المهاجرة ، مصارمة الغير ومتاركته ، وكل من فارق بلدة ، من بدوى أو حضرى ، أو سكن بلدا آخر ، فهو مهاجر والاسم الهجرة ومنه هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وانتقاله بأمر من ربه ، إلى دار ليس له فيها أهل ولا مال ، وسمى من لحق به ، صلى الله عليه وسلم فراراً بدينهم وحفظاً لأنفسهم مهاجرين ، لأنهم تركوا ديارهم ، ومساكنهم التى نشئوا بها لله . ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ، ولا مال ، حين هاجروا ، وهم الذين ذهبوا من مكة المكرمة ، إلى المدينة المنورة ، مع النبى صلى الله عليه وسلم أو بعده ، قال تعالى : (وَمَنْ يُهَاجِرْ

فِي سبيلِ اللهِ ، يجدْ فِي الْأَرْضِ مرَاغَماً[1] كَثِيراً وَسَعَةً) .
وقال تعالى (وَالَّذِينَ هَاجرُوا فِينَا لَنهْدِيَنَّهُمْ سبُلَنَا) . وَقالَ
جل ذكره : (فَالَّذِينَ هَاجرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ .
وَأُوذوُا فِي سبِيلِي ، وَقَاتَلوُا وَقُتِلوُا ، لأكَفرَنَّ عَنْهُمْ
سيئَاتِهِمْ ، وَلأدْخِلَنهُمْ جَنَّات تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ)
والأعراب الذين لم يلحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولم
يجولوا فى أمصار المسلمين ، فليسوا مهاجرين ، وليس لهم
نصيب فى الفيء ، وإن كانوا مسلمين ، قال تعالى : (وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا ، مَا لَكُمْ مِنْ وَلَيتِهِمْ مِنْ شيء حَتَى
يُهَاجِروا) والمهاجرة من أرض إلى أرض . ترك الأولى للثانية ،
وتهجَّر فلان تشبه بالمهاجرين . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :
هاجِروا ، ولا تهجّرُوا (أى أخْلِصُوا الهِجْرَةَ لله ، ولا تشبهوا
بالمهاجرين) كما تقول فلان يتحلم ويتشجع وليس بحليم ولا
بشجاع . والتهجير إلى الجمعة وغيرها التبكير والمبادرة إلى كل
شيء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لوْ يَعْلَمُ النَّاسُ
ما فى التَّهْجِير لاسْتَبَقُوا إليه) أراد صلى الله عليه وسلم التبكير

(١) مراغما — المراغمة الهجران والتباعد ، والتحول من أرض إلى أرض — وأرغم أهله وراغمهم — هجرهم ونبذهم وفارقهم على رغم أنوفهم .

إلى الصلوات : وهى المضى إليها فى أول أوقاتها . وفى الحديث « لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ لَـكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ » وقال صلى الله عليه وسلم : (لاهِجْرَةَ بَعْدَ ثَلَاث) ؛ أى فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة وتقصير يقع فى حقوق العشرة والصحبة دون ماكان ذلك من جانب الدين. فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة على ممر الأوقات مالم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق ؛ فإن النبى صلى الله عليه وسلم لما خاف على كعب بن مالك وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن غزوة تبوك ؛ أمر بهجرانهم خمسين يوماً ؛ وقد هجر صلى الله عليه وسلم نساءه شهراً ، وهجرت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ابن الزبير مدة ؛ والهجران يكون بالبدن واللسان ؛ وبالقلب نطق بذلك القرآن الكريم : قال تعالى (وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً) ، (وَالرُّجْزَ فاهْجُرْ) وقال : تعالى (وَاهْجرُوهُنَّ فِى الْمَضَاجع) وقوله تعالى (وَقَالَ الرسولُ يارَبِّ إنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هَذا القرآن مَهْجُورا) .

والتاريخ الهجرى منسوب إلى هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن الله سبحانه لما أتم لعبده محمد صلى الله عليه وسلم ماأراد وسارت به ملائكة الله إلى السموات والملك

والملكوت ؛ وشاهد ما عليه الملائكة من عبادة الديان وتسبيح الرحمن ؛ أعلم الله نبيه وحبيبه أن مصير الإسلام فى الأرض كما هو فى السماء ؛ فأمره بالهجرة لنشر الإسلام ومنها كان التاريخ الهجرى .

التـــــاريخ

التـــــاريخ — تعريف الوقت ، والتوريخ مثله . أرَّخَ الكتاب ليوم كذا ، وقته والوقت مقدار من الزمان ، وتحديد الأوقات ؛ وكل شىء قدرت له حيناً فهو وقت ، وتاريخ المسلمين أُرِّخَ من عهد هجرة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم وكتب فى خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه ، فصار تاريخاً إسلامياً عاماً لجميع المسلمين ؛ وكان كل من الأمم الماضية تتخذ تاريخها من ظهور دولة ، أو حدوث وقعة جسيمة كالطوفان مثلا ؛ وكان العرب يحسبون أشهرهم بمقتضى القمر ، وسمَّوا السنة بالسنة القمرية ، واتخذوا قديماً مبدأ تاريخياً بعض وقائع مشهورة ، كبناء الكعبة ، وعام الفيل ؛ وصار هذا كله يعد الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام مهجوراً ، حتى أطلق على كل من السنين التى تلت الهجرة عنواناً يناسب واقعة الحال ؛ فسمَّوْا

السنة الأولى للهجرة ؛ سنة الإذن لصدور الإذن بالهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ؛ والثانية — عام الأمر لنزول الأمر بالجهاد والقتال . وهكذا تسمت السنين الأخرى بحوادث مهمة وسميت السنة العاشرة بحجة الوداع ؛ واستمر ذلك إلى السنة السابع عشرة للهجرة ؛ جمع عمر رضى الله عنه؛ الأصحاب وشاورهم فى أخذ تاريخ ثابت للمسلمين لتضارب المراسلات والشك فى السجلات ؛ وانعدام التثبت فى الأخبار فاستحسنوا اتخاذ يوم معين من أيام حضرة النبي صلى الله عليه وسلم وجعله مبدأ تاريخياً باعتبار الشهور القمرية (إِنَّ عِدَّةَ الشهور عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فى كِتَابِ الله يَوْمَ خَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ذلِكَ الدينُ الْقَيِّمُ) فتم رأيهم على جعل الهجرة النبوية مبدأ لهذا التاريخ الإسلامى، وجعلوا المحرم أول شهورها ، لأنه أول الشهور القمرية قديماً .

الهجـــــرة

يقول الله تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيه مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، فان تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ الله لاَ إله إِلاَّ هُوَ عَلَيهِ

تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) .

تتحد قلوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يوى الهجرة والمسرى فيقومون بإحياء ليلة الإسرى بالصلاة والدعاء وتسرى روحهم إلى رب السماء والأرض تناجيه وتتقرب إليه وتحن إلى ما فيه أهل السماء من ذكر وتسبيح وتهليل وتحميد . ويحتفلون بيوم الهجرة المجيد ، ويسعون لهجرة العداء والمنابذة ؛ ولعن الشيطان الرجيم الذى أخرج أبانا آدم من الجنة وحرمه نعيمها ؛ وأخرج سيد الأنبياء من أحب البقاع إليه تاركا أهله ومأواه ، فكان يوما مشهوداً وعلى توالى السنين والأيام معدوداً ، واتخذه المسلمون لهم عيداً كل عام ، لأنه الحد الفاصل ، بين عهدين متباينين : عهد الوثنية والضلال المبين ، والإنذارات السماوية ، والآيات الالهية .

وعهد النور والتوحيد ، وإشراق شمس الإسلام على جميع الأنام ، فاهتدى الناس وخرجوا من الظلمات إلى النور والهدى ، وأضاءت أنوار النبى صلى الله عليه وسلم على جميع من فى المعمورة ، وقضت على المعاندين وانتشر الدين ، وفتح الله على المسلمين فتحاً مبيناً (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ

صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا)

وظلت هذه الأنوار المحمدية مصباحا منيراً، يهتز لها العالم الإسلامى فى افتتاح كل عام هجرى ، من أقصى المعمورة إلى أقصاها ذاكراً هجرة سيد الكائنات ، ذاكراً مبدأ انتشار أعلام النبوة، وإعلاء شأن الدين الحنيف ، وارتفاع صوت الحق عالياً وترادف الغزوات ، وتوالى الفتوحات، وخمول أهل البغى والعناد والقضاء على الجهالات ، واقتلاع جذور الشر والضلال، وانهزام الباطل أمام الحق المنتصر، فى شخصية صاحب الهجرة العظيمة ، التي لم تنهزم أمام الشدائد الفادحة ، والمصادمات العنيفة ، التي لاقاها صلى الله عليه وسلم من قومه ، فى مكة المكرمة ثلاثة عشر عاما كاملة ، وفى بدء الرابعة عشر من النبوة وأربع وخمسين من المولد الشريف وبعد الإسراء بسنتين تقريباً، أراد الله سبحانه تأييد عبده، ونشر دينه فكانت الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فسطعت شمس الإسلام وملأت الكون ضياء ونوراً ، واعتز الدين وساد بعظمة محمد صلى الله عليه وسلم وشخصيته التى جمعت صفات جميع عظماء الأرض قاطبة وفُضِّلَتْ على ملائكة السما وامتازت من الكمالات بما لم يوجد فى أحد من خلق الله، وأعجزت الأفكار

والعقول ، وأنجبت عظماء العالم وفلاسفة الدنيا .

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

هكذا دواليك يكتب الكتاب ، وينضب معنى الأفهام ، فى الوصول إلى فهم الحقيقة المحمدية ، وما هم بواصلين إلى غايتها .

عالم الإجمال أنت بحره كان كلُّ الخلق فيك مجملا

كل موجود فأنت سره وبأمر الله منك فُصِّلا

فإن عظمته صلى الله عليه وسلم تصغر الأفهام دونها ، ويرتد بصر العقل الإنسانى أمامها خاسئاً وهو حسير ، وناهيك بسيدة الأمم ، وأرفعها علما وعدلا وآثارا ، فقد وحدها بعد شتاتها ، وأيقظها من سباتها ، وانتشلها من الحضيض ، ورفعها من هوة الانحلال ، وأعلى شأنها ، وبوأها مكاناً رفيعاً ، لم تحلم به الفلاسفة الأولون ، ولا الحكماء المحدثون ، ولاعجب ! فإنها العظمة الخالدة ، والشخصية الكاملة ، التى تتحطم الأقلام أمامها ، ولا تزال على توالى الأعوام والدهور نوراً ساطعاً ، ينسخ الظلمات ، فيضىء أطراف الدنيا بباهر ما اجتمع له من العلوم والمعارف التى لا تزال عن وجوه الهداية سافرة .

أما ترون ما أرى أمامى من ساطع يجلو دُجى الظلام

فهو المخصوص بهذا الدين القويم . المشتمل على محاسن الأخلاق، ومحامد الآداب . وتحليل الطيبات وتحريم الخبائث، وصون الأعراض والأموال . فما أجل هذه المزايا، وما أكرمها، وما أولى هذه الأمة بسيادة الأمم، لو رجعت إلى تعاليم دينها وتمسكت به ، واهتدت بهدايته . وأخذت بتعاليمه ونشأت النشء عليها منذ نعومة أظفـــارهم ، ليشبوا وقد امتزجت تعاليم الإسلام وآدابه بدمهم ولحمهم ، وانقادت إلى إرشاد هذا الرسول الكريم ، الذى يدعو الناس إلى دين الله الرفيع ، ثلاثة عشر عاماً بسلاح الحكمة ، والموعظة الحسنة . ويأمرهم بنبذ ماهم عليه ، من عبادة الأصنام ، وتوحيد الله الملك الديان ، فلبى الدعوة قليل ممن هداهم الله ، وأرشدهم إلى طريق سعادتهم ، وأبى أن ينعم بهذا النعيم الدائم والخير العميم ، من حقّت عليهم كلمة العذاب ، فأجذوا فى مناوأته صلى الله عليه وسلم، ولم يتركوا باباً من أبواب العنف إلا ولجوه ولا وسيلة من وسائل الإرهاب ، إلا فعلوها ، فاشتدت وطأتهم على المسلمين ، ولاقوا منهم صنوف العذاب ، فما وهنت قوتهم ، ولا ضعفت إرادتهم ، ولا انحلت عزائمهم ، بل قوى إيمانهم ، وامتزج بلحمهم ودمهم ، وأمدهم النبى صلى الله عليه وسلم ، بالنور الإلهى ، وثبت أمامهم

ثبات المتولى ، وصبر صبر المستعلى ، قائلا كلمته التى اشرأبت لها أعناق القبائل والشعوب : (والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى شمالى ، على أن أترك هذا الأمر ، أو أهلك دونه ، حتي يظهره الله ما تركته) وهذا الإمام على كرم الله وجهه ، بطل الإسلام ، وليث بنى غالب يقول : (كنا إذا حَمِيَ البأس ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقربَ منه إلى العدُوِّ) وكلما بالغ الكفار فى الإيذاء ، ازداد المسلمون إيماناً ويقيناً وثباتاً ، وعزماً ومجاهرة بالحق ، فلما اشتد الأذى بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وبأصحابه الذين فتح الله قلوبهم للإيمان ، ونور بصائرهم بنوره ، فكانوا السابقين الأولين الذين أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى أرض الحبشة ، فهاجروا فراراً بدينهم ، وهناك أكرموا إكراماً عظيما ، هدم تدبير كفار قريش ، الذى دبروه لإرجاعهم ، فلم يصغَ ملك الحبشة لأمرهم ، ولم يسمع لقولهم ، بل أعز المسلمين ، وأيد كلمة الإسلام ، وقوى شوكة المهاجرين ، وأرجع رسل الكفار بهداياهم منخذلين خائبين ، فحارت قريش فى أمرها ، وضاقت عليهم الدنيا بما رحبت ، وظنت أن تنال من المصطفى صلى الله عليه وسلم ما تنالُ : بعد وفاة السيدة المبجلة السيدة خديجة

أم المؤمنين رضى الله عنها ولمناسبة ذكر أمنا الكبرى رضى الله عنها نذكر شيئاً من مدحها لفضيلة الشيخ الدجوى كبير العلماء

مَنَّ مِثلُ من قَدْ صدَقت خير الوَرَى
وقلوبُ كلِّ الناس غابَ هُدَاها
سبقت جميعَ المؤمنين إلى الهدى
وحوَتْ فخاراً عَزَّ ليسَ يضاها
قالت : مقال خبيرة وبصيرة
وكأنما الوحيُ الأمين أتاها
والله لا يخزيك ربك سيدى
أبداً فكُن مُتهللا يا طـــهَ
فسقا الإله ضريحها السامى رضاً
من أرفع الرضوانِ لا يتناها

فأخذ الكفار بعد وفاتها رضى الله عنها يشتدون فى العناد والأذى ، والمسلمون يزدادون ثباتاً وتحملا ، لا سيما بعد وفاة عمه أبى طالب الذى كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته ، مدافعا عنه متحملا الضر لأجله ، متحزبا له وقد جاء فى وصيته لقريش حين موته :

(والله لا يَسْلك أحد سبيله إلا رَشَد ، ولا يأخذ أحد

بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة ، ولأجلي تأخير، لكففت عنه الهزاهز (البلايا) ولدافعت عنه الدواهي ، اه

ومن أحسن ما روى عنه

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أوسَّدَ في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
وأبشر وقرَّ بذاك منك عيونا
ودعوتني وعرفت أنك ناصحي
ولقد صدقت وكنت ثَمَّ أمينا
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه
من خير أديان البرية دينا

ومن قوله :

كذبتم وبيت الله نُبْزَى محمدا[1] ولما نطاعن حوله ونناضل
يلوذ به الهلال من آل هاشم فهم عنده في نعمةٍ وفواضِل
لعمري، لقد كلفت وجداً بأحْمَدَ وإخوته دأب المحب المواصل

فلما مات أبو طالب ، نال النبي صلى الله عليه وسلم ، من الأذى والتعيير والاستهزاء والتبكيت ، مالله به عليم ، لينال

---

(١) نبزا — أي يغلب ويقهر .

صلى الله عليه وسلم حظه من البلاء ، وليحقق فيه مقام الصبر الذى أمر به ، كما صبر أولوا العزم من الرسل الأنبياء (فسبحان من كفاه ، ووفاه ، وآواه وأظهر دينه على الأديان كلها) ومحمد صلى الله عليه وسلم ماوهن ولا استكان ، ولم يعبأ بهذه المقاومة عازما على تبليغ أمر الله ، إن سلماً وإن حرباً (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) ثم أمر أصحابه بهجرة ثانية إلى المدينة المنورة ، وقال لهم : (إنى أريت دار هجرتكم ذات نخيل ، بين لابتين وهما الحرتان) فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع من كان هاجر إلى الحبشة ، مهاجراً إلى المدينة ، فنالوا شرف الهجرتين ، هجرتهم إلى الحبشة ، ثم هجرتهم إلى المدينة فكثر المهاجرون إلى المدينة ، واشتد أزرهم ، وقريش عند ذلك تتمزق من الغيظ ، وتذيق من بقى فى مكة العذاب ألوانا ، فلما رأى شيخ الصحابة رضى الله عنه ، أنه لم يبق فى مكة من المسلمين إلا القليل ، عزم على الهجرة بنفسه تاركا أهله وماله إلى أرض الحبشة ، فقابله ابن الدغنة ، سيد القارة ، عند برك[1] الغماد ، وسأله أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال رضى الله عنه : أريد أن أسبح فى الأرض ، وأعبد ربى ، حيث قد أخرجنى قومى ،

---

(١) برك الغماد — موضع وراء مكة على بعد خمس ليال مما يلى البحر .

فقال ابن الدُّغُنَّةَ : (إن مثلكَ لايخرجُ ولا يُخرَجُ ، إنك تكسب المعدوم وتصل الرَّحِمَ ، وتحمل الكَلَّ ، وتَقرى الضَّيفَ ، وتُعين على نوائب الحق ، فأنا لك جار ، ارجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع رضى الله عنه) ، وظل يعبد ربه ، حتى طلبت قريش من ابن الدغنة رد جواره ، فرده إليه ، بعزة وإكبار ، راضياً بجوار الله وحمايته ، ثم استأذن حضرة النبي صلى الله عليه وسلم فى الهجرة إلى المدينه . فقال له صلى الله عليه وسلم : على رسلك ، فإنى أرجو أن يؤذن لى ، فقال رضى الله عنه : وهل ترجو ذلك ، بأبى أنت وأمى ؟ قال : نعم ، فأعدعدته للهجرة رضى الله عنه وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم ، يعرض نفسه على القبائل ، والوفود ؟ فأخذت الدعوة إلى الإسلام تعلو وتتغلب ، وكان الأنصار بعد منصرفهم من الحج ينشرون ، دين الله فى قومهم ، وجعل أهل المدينة رضى الله عنهم ، يفدون على النبي صلى الله عليه وسلم ، أفواجا أفواجا ، فتحيرت قريش فى أمرها ، وأخذوا يتشاورون ، وبماذا يصنعون بهذا النبي الكريم ؟ وبأصحابه الذين اتبعوه ، فاستقر رأيهم العاثر ، بعد جهد وأخذ ورد على أن يأخذوا من كل قبيلة ، شاباً جلْد قوياً ، فإذا خرج من بينه ، ضربوه ضربة

رجل واحد ، فيتفرق دمه فى القبائل ، فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلهم ، فنزل الروح الأمين بأمر ربه ، وأعلمه بهذا التدبير الخبيث ، قال تعالى : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، لِيُثْبِتُوكَ ، أَوْ يَقْتُلُوكَ أَو يُخْرِجُوكَ ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين) وأمره بالهجرة التى هدت أركان الكفر والضلال ، وهدمت بنيان الشرك والفجور ، ونشرت النور والضياء ، قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : (فبينا نحن جلوس يوماً فى بيتنا فى نحر[1] الظهيرة ، إذ قال قائل لأبى بكر : هذا رسو الله صلى الله عليه وسلم ، مقبل متقنع ، فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ، قال سيدنا أبو بكر رضى الله عنه ، فداء له أبى وأمى ، ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر ، قالت : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذن ، فدخل ، فقال صلى الله عليه وسلم : لأبى بكر ، أخرج من عندك ، فقال أبو بكر : إنما هم أهلك ، بأبى أنت يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أذن لى فى الخروج ، قال أبو بكر : فالصحبة ، بأبى أنت يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم : نعم قالت عائشة : ، ماشعرت أن أحداً يبكى قبل ذلك من الفرح ،

---

(١) نحر الظهيرة — اشتداد الحر .

حتى رأيت أبا بكر ، حين أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحبته . خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مهاجراً فى صحبة الصديق ليلا ، والرجال جثم قعود تحيط بداره فنثر على رءوسهم التراب ، وترك بأمر ربه سيدنا عليا ينام فى مكانه ، وركب صلى الله عليه وسلم وأبو بكر راحلتين كانتا معديتين للهجرة ، وترك أبو بكر رضى الله عنه أولاده وعياله رغبة فى الله ورسوله ، ورافقه رضى الله عنه ، وقد استأجرا دليلا ماهرا وأمّناه ودفعا إليه راحليهما ، وواعداه غارثور ، فوصلاه بعد ثلاث ليال ، وفيه أقاما ثلاثة أيام ، يأتيهما فى كل ليلة بخبر القوم عبد الله بن الصديق رضى الله عنهما ، وهو غلام ثقفٌ ، فيدّلج من عنـــدهما بسحر ، فيصبح مع قريش ، كبائت فى مكة ، فلا يسمع أمْراً يكادان به إلا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك ، حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فُهيرَة مولى أبى بكر منْحة [1] من غنم ، فيريحها عليهما عشاً ، وينعق بهما من عندهم بغلس ، وكانت أسماء بنت الصديق تأتيهما بالطعام إذا أمست ، وكانت قد جهزت أحسن

(١) منحة ـ المنحة — الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلا يشرب لبنها ثم يردها ، إذا انقطع اللبن ، هذا فى الأصل ثم كثر استعماله حتى أطلق على كل عطاء .

الجهاز وصنعت لهما سفرة فى جراب ، ولم تجد رباطا فقطعت نطاقها رضى الله عنها وربطت فم الجراب بقطعة وتمنطقت بالأخرى ، فسميت ذات النطاقين ، كل ذلك وقريش فى حيرة وضلال ، تطلبهما ، وقد عز مطلبهما ، قال تعالى : (إلا تنْصُرُوهُ فقد نَصَرَهُ الله ، إذْ أخرجهُ الذِّينَ كَفَرُوا ، ثَانِىَ اثنين إذْ هُمَا فِى الغَارِ ، إذْ يقُول لصاحِبه لا تَحْزَنْ ، إنَّ الله مَعَنَا ، فأنْزَلَ الله سكِينَتَهُ عليه وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا) . وأخذت قريش عليهما بالرصد والطلب فى أثرهما ، فلما كانا بعد ثلاث ، أتاهما الدليل ابن الأريقط ، بالراحلتين وانطلقا ومعهما عامر بن فهيرة والدليل ، على بركة الله ، فلحقهما سراقة بن مالك فقال أبو بكر ، أتينا يا رسول ، فقال : لا تحزن إن الله معنا ، ثم دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارتطمت[1] فرسه إلى بطنها ، وهما فى جَلَدٍ[2] من الأرض ، فقال : إنى قد علمت أنكما قد دعوتما على ، فادْعوا لى ، والله لكما ، أن أرد عنكما الطلب ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنجا ، فرجع لا يلقى أحداً إلا قال : قد كفيتم ، ما ها هنا ، فلا يلقى

---

(١) غاصت قوائمها فى الأرض .

(٢) أرض صلبة مستوية المتن غليظة .

أحداً إلا رده ؛ ثم أخذ بهما عامر والدليل طريق السواحل ؛ يوماً وليلة ؛ فلما كان قائم الظهيرة ؛ مر على خيمتى أم معبد الخزاعية فسألوها الزاد فلم يصيبوا عندها شيئاً فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إلى شاة ؛ وسألها ؛ هل بها من لبن؟ قالت : هى أجهد من ذلك ؛إنما خلفها عن الغنم الجهد ؛ فدعا بها الرسول صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها وسمى الله ، فدرت ودعا . بإناء يربط[1] الرهط ؛ فحلب وسقاها ؛ وسقى أصحابه وشرب آخرهم ثم ملأه وغادره عندها ؛ ثم ارتحلوا وقد سمع أهل مكة صوتاً يقول :

جزى الله رب العرش خير جزائه
رفيقين قالا خيمتي أم معبـــد
هما نزلاها بالهـــدى فاهتدت به
فقد فاز من أمسى رفيق محمـــد
فيـــال قصى مازوى الله عنكم
به من فخـــار لايجارى ومسؤدد
ســـلوا أختكم عن شاتها وإنائها
فإنكم إن تسألوا الشاة تشهـــد

(١) يربط الرهط ـ يربيهم جميعا .

وقصة أم معبد إحدى معجزات المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وقد أخرجها أصحاب المغازى جميعهم ، ثم سارا على بركة الله تصحبهما العناية الإلهية . لا يحفلان بمشقة ، ولا يضعفهما تعب ، ولا تساورهما ريبة فى نصر العلى الأعلى . وأخذا يقطعان بطون تهامة ، فى قيظ محرق ، تتلظى له رمال الصحراء ، ويجتازان آكاما ووهاداً . ويتحملان مشقات متعبة ، ومجاهدات مضنية ، وفى طريقهما تظهر آيات بينات ، ومعجزات باهرات خالدات ، حتى وصلا إلى قُباء يوم الإثنين ، لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول ، ومنه كان التاريخ ، ثم رده أمير المؤمنين سيدنا عمر رضى الله عنه إلى المحرم ، وهو أول تاريخ ظهر به الإسلام واعتلى شأنه ، ورفع مناره ، وانتشر فى جميع جزيرة العرب ، ثم عم الدنيا شرقاً وغرباً على يد خلفائه الأجلاء رضى الله عنهم ، ولا تنس ما عليه أهل المدينة من الشوق الكبير ، والهيام العظيم إلى لقاء حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم . فكانوا يغدون كل غداة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة ، فبينما أظلهم ظهوره ، وبهرهم نوره ، ناداهم من فوق تل عال يهودى بأعلى صوته (هذا جدكم[1] قد جاء) فأقبل الناس للقائه ،

---

(١) أى حظكم .

وأُفعموا فرحاً برؤيته ، وحاول كل أن يراه ، ويقترب منه صلى الله عليه وسلم ، ومكث عند بنى عمرو بن عوف بقباء أياماً ، بنى بها مسجد قباء ، وأقام بالمدينة عشر سنين ، فيها غزا القبائل ، وخاطب الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، وتم له صلى الله عليه وسلم فتح مكة المكرمة ، قال تعالى : (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بالحق لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الحرام إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ، لاَ تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً) . فدخل الناس فى دين الله أفواجاً ، وحج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، وأكمل الله له فيها دينه القويم فأنزل عليه : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينا) ثم لحق بربه الكريم فى يوم الإثنين الثانى عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة الشريفة ، ودفن ليلة الأربعاء ، فكان يوم الإثنين من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ، مولداً ، ومبعثاً ، ومعراجاً ، وهجرة ودخول المدينة ووفاة صلى الله عليه وسلم ، اللهم ابعثه المقام المحمود ، وأجزه عنا وعن أمته ، أفضل ما جازيت نبياً عن أمته ، وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة ، وأقدرنا على العمل بشريعته ، وأمتنا

على ملته ، واحشرنا فى زمرته ، وثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، كما نسألك أن تثبت قلوبنا على دينك حتى تميتنا عليه فى غير محنة ولافتنة يا رب العالمين. وكان تمام تأليف هذه الرسالة التى توسلت إلى الله فى قبولها والنفع بها بمن ختمت به الرسالة فى صبيحة يوم الخميس المبارك التاسع من رجب الفرد الصمد ، من السنة الثامنة والخمسين بعد الثلثمائة والألف من هجرة سيد الأنام ، وحبيب الملك العلام ، على صاحبها أفضل الصلاه والسلام ولا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم ، وألحقت بآخرها حديث الغرانيق ، راجيا من المولى القدير ، قبول الجميع فإنه سميع مجيب ، وهو حسبى ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاه والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين سيدنا محمد المخصوص بالاسراء والمعراج والخلق العظيم ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأهل بيته وسلم يا كريم وعلى أتباعه والسالكين على نهجه القويم وعلينا معهم يا مولاى والحمد لله رب العالمين .

الغرانيق

لما كان حديث الغرانيق من مفتريات المفترين ، واختلاق الأفاكين وقد سبق أن طبعه جماعة الجهاد الإسلامى ونشر الثقافة الإسلامية ليكون تعليقاً على ما جاء بالجزء الأول من الطبقات الكبرى لابن سعد الذى يعد تحفة من تحف الكتب الإسلامية ، رأيت أن أعيد طبعه هنا ليطلع عليه من لم يطلع على هذه التحفة الكبيرة لأهمية هذا الحديث الدينية .

حديث الغرانيق

تصويب — وتعليق

جاءنا هذا البحث القيّم والتعليق الحكيم من حضرة الأخ الفاضل والمؤمن الصادق الأستاذ حجازى محمد خليل مدرس اللغة العربية بالمدارس الأميرية فرأينا أن ننشره ملحقاً لكتاب الطبقات لما له من الأهمية شاكرين لحضرته راجين له من الله حسن المثوبة

قال حفظه الله : بعد التحية والاحترام أرجو تصحيح العبارة الآتية ولكم الشكر ؟

جاء فى آخر السطر العاشر وأول الحادى عشر من صفحة

(١٩٠) من الجزء الأول من الطبقات الكبرى لابن سعد

(١٠) فقال جبريل (١١) جئتك بهاتين الكلمتين (وصوابه — فقال جبريل ما جئتك بهاتين الكلمتين) بزيادة (ما)

رجاء

وحيث إن هذه العبارة فى الكلام على حديث الغرانيق وعودة المهاجرين من الحبشة ، رأيت أن أكشف غطاءه ، وأزيل عماءه وأبيّن يطلانه ، وأثبت ما هو اليقين فيه — فأرجو أن يكون هذا تحقيقاً لما جاء فى هذه الصفحة يلحق بالجزء الأول ، ليتبين الناس وجه الحق فى هـذا الحديث الذى صار مشهوراً لوجوده فى أكثر كتب التفسير التى تتناولها الأيدى .

التعليق

حديث الغرانيق وإن رواه غير واحد من كتّاب السيّر والتاريخ ، ولو أثبته فى كتب التفاسير بعض المفسرين ، أو ذكره ابن سعد فى طبقاته ، فإنه باطل لا أصل له على الإطلاق منقوض من أساسه ، وإنه أكذوبة ممجوجة

وحديث خرافة من مفتريات المفترين ومختلقات الملبّسين المفسدين ، قام بوضعه طائفة الزّنادقة وأعداء الدين الذين أخذوا على أنفسهم الكيد للإسلام — ولو صحّ لكان أكبر شبهة على الدّين — ولكنه لم يصح لغة وعقلا ونقلا ومعنى وأسلوباً ، وإليك البيان بما ينفى الشك والارتياب — ولعله فصل الخطاب — فعليك به ولا تسمع قول عمرو وزيد — ففى جوف الفرا كل الصيد — ولتحذر أيها المسلم — وقد ينفع الحذر — مما تراه فى الكتب عن هذ الحديث — وإياك والتقليد الأعمى فانه رأس البلاء ، وأصل كل داء حفظنا الله وإياك من مفتريات الكذابين ورزقنا وإيّاك والعاملين الخير والسداد ، وما توفيق إلا بالله .

الغرانيق

والغرانيق لغة — اسم لطائر مائى أسود أو أبيض — والغرنوق والغُرْنَيْق والغِرناق والغُرانِقُ كلّه الأبيض الشابّ الناعم الجميل قال الشاعر

إذا أنت غُرْناق الشباب ميّال :

وفى حديث على كرم الله وجهه — فكأنى أنظر إلى

غُرنوقٍ من قريش يتشحّط فى دمه أى شاب ناعم — وقال أعرابى — وكل غرنوق إذا صال حكم . والغرنوق الناعم المنتشر من النبات ، ونبتٌ ينبت فى أصول العوسج لين ، وقال أبو عمر: الغرنوق طير من طيور الماء يشبه الكركى ، والجمع الغرانيق والغرانقة قال الشاعر

لهفى على أبيض الغرانيق اللِمِ
فوارس الخيل وأرباب النعم

والغرنوق الخصلة من الشعر المفتّلة وقال ابن الأنبارى — الغرانيق الذكور من الطير واحدها غُرنوق وغرْنَيق وجمع الغرنوق أيضاً الغُرانق

ألا إن تَطلاب الصبا منك ضلة
وقد فات ريعان الشباب الغُرانق

وامرأة غُرانِق وغُرانقة شابّة ممتلئة قال الرازى :

عليك بالمحض وبالمشارق واللهو عند بادن غُرانق

إلى آخر ما فى كتب اللغة

فهذا المعنى اللغوى يبطل حجة من قال بحديث الغرانيق الوارد ذكرها فى السّير والتفاسير وإنى أتحدى كل من يجىء بمعنى للغرانيق غير ما قلت على أن الغرانيق التى يزعمونها ،

ليست متحدة فى هيا كلهم ؛ إذ منها الحجرى ومنها الخشبى ومنها الصغير ومنها الكبير فكيف تتّصف كلها بالجمال — وإذا جارينا من يقول بأن لفظ الغرانيق استعير لأ لهتهم للجمال فان هذا لا يتفق وتباين هذه الهياكل الحجرية والخشبية وغيرها — ولنناقش الموضوع فيما عدا ذلك كما أسلفنا نقلا وعقلا ومعنى وأسلوباً ؛ فنقول والله المستعان .

من درس سيرة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم منذ نعومة أظفاره إلى أن التحق بالرفيق الأعلى ؛ وعرف ما ثبت فيها من قوله صلى الله عليه وسلم (والله لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر أو أموت دونه ما فعلت » فكيف بعد أن أعز الله الإسلام بإسلام عمر الفاروق وبعد أن أخذ الدّين يتقوّى وينتشر فى جزيرة العرب وبلاد الحبشة ؛ يخشى الناسَ والله أحق أن يخشاه ؟ وكيف يقول على الله مالم ينزل ؛ بعد أن احتمل هو وأصحابه فى سبيل تبليغ أمر الله ألوان الأذى ؛ وصنوف التعذيب ؟ على أن من دقق النظر فى هذا الحديث ورجوع المهاجرين المسلمين من الحبشة يجد الصلة بينهما مقطوعة ؛ وأن عودتهم لم تكن

لهـذا المفترى[1] بل كانت فراراً من الثورة التى قامت بين النجاشى وقومه ؛ وفرحاً بإسلام سيدنا عمر رضى الله عنه ؛ وابتهاجاً بما سمعوه من شجاعته التى أيّد بها الدين ؛ فما أن أسلم إلا وقد أمر بإعلان الأذان ، وإقامة الصلاة عند الكعبة وإنه لم يقبل تخفّى المسلمين بالشّعاب . على أن هذا الحديث الباطل لو صحّ لنقض ما لكل نبي ورسول من العصمة فى تبليغ الرساله ؛ واستلزم أن كل نبي ورسول حصل له مثل حادثة الغرانيق ؛ وهذا لم يحصل مطلقاً لأى رسول ولا نبي ، فضلا عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن حيث إن هذا الحديث مناف للقرآن الكريم والعصمة النبوية ، وأن بعض المفسرين ينقله دون بطلانه فدونك قول المحققين لتكون على بيّنة من أمره والله اعلم بالمراد .

قال الإمام البيهقى : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ـ ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة مطعون فيهم . وفى البحر أن هذه القصّة سئل عنها الإمام محمد بن إسحاق جامع السيرة النبوية فقال : هـذا من وضع الزّنادقة ، وذكر

---

(١) إشارة إلى حديث الغرانيق

أبو منصور الماتريدى فى كتاب حصص الأتقياء ؛ الصواب أن قوله — تلك الغرانيق الخ من جملة إيحاء الشيطان إلى أوليائه من الزنادقة ؛ حتى يلقوا بين الضعفاء وأرقّاء الدين ليرتابوا فى صحة الدين ؛ والرسالة بريئة من مثل هذه الرواية ؛ وقال القشيرى : لقد طالَبت قريش وثقيف ؛ حضرة النبى صلى الله عليه وسلم إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها ؛ ووعدوه الإيمان به إن فعل . فما فعل ؛ وما كان ليفعل فكيف يمدحها ؛ وقال القاضى عياض فى الشفا : يكفيك أن هذا الحديث لم يخرّجه أحد من أهل الصحة ؛ ولا رواه ثقة بسند سليم متصل ؛ وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون ؛ المولعون بكل غريب ؛ المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم ؛ ولم يوجد شىء من كتب الحديث المعتمدة بسند صحيح معتمد عليه . وصدق القاضى أبو بكر بن العلاء حيث قال : لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء والتفاسير ؛ وتعلّق بذلك الملحدون مع ضعف بعض نقلة الحديث واضطراب رواياته ؛ وانقطاع إسناده ؛ واختلاف كلماته ؛ فقائل يقول : إنه فى الصلاة وآخر يقول قالها فى نادى قومه : وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة ؛ وآخر يقول بل حدّث نفسه بها أو يقول : إن الشيطان قالها

على لسانه . إلى غير ذلك من اختلاف الرواة — ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب (صحابى) وأكثر الطرق عنهم فيها واهية ضعيفة إلى أن قال وطرق الحديث كلها باطلة .

وقال سيدى عبد العزيز الدبّاغ رضى الله عنه : ماوقع للنبى صلى الله عليه وسلم شيء من مسألة الغرانيق قط ؛ ولو وقعت لارتفعت الثّقة بالشريعة ، وتطرّق الشك إلى جميع آيات القرآن الكريم، وبطل حكم العصمة ، وصار الرسول كغيره من آحاد الناس ؛ حيث كان للشيطان سلاطة عليه وعلى كلامه، حتى يزيد فيه مالا يريده الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يحبه ولا يرضاه ، فأى ثقة تبقى فى الرسالة ، مع هذا الأمر العظيم .

وقال ابن العربى بعد كلام طويل فما وجدنا من معاند فيه كلمة ، ولا عن مسلم بسببه بنت شفه . فهؤلاء المحققون لم يتركوا قولا لقائل ، جزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء ، وقد دلّ قولهم على بطلان هذا الحديث واجتثاث أصله ، ولا عبرة برأى من خالفهم من المخرفين ولو كانوا أولى علم وبيان إلا أنهم ليسوا من الثقات.

عصمة القرآن

لو جاز زيادة هذه العبارة ولو سهواً ، فى سورة النّجم ، لتطرّق الشك فى جميع آيات القرآن الحكيم ، لأن تسلط الشيطان فى البعض يلزم جواز تسلطه على كل مانزل ، وبذلك ترتفع الثّقة بالقرآن الكريم ، ولا يكون دليلا قطعياً ، ولا يكون محفوظا من التغيير والتبديل ، كيف ! والله يقول : (إنّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وَإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) وكيف تقوم الحجّة على الأمة ؟ مع حصول الشك فى كلام رب العالمين ، مع أنه الحجة العظيمة ، وأنه منبع الأحكام والاعتقادات والمعاملات ومن حيث إن القرآن ، ما زال ولا يزال منبع الأحكام وأصل الدين القويم ، وأنه المعجزة القائمة إلى يوم الساعة ، فقد بطل هذا الحديث وثبت افتراؤه .

منافاة الحديث للعصمة النبوية

العصمة ، ملكة نفسانية ، تمنع من النقائص والمعاصى ، والكلام بما يخالف الواقع ، إذ الكلام بما يخالف الواقع نقيصة تأباها العصمة التى هى أصل من أصول الدين ، وعقيدة من العقائد التى يطلب فيها اليقين ، شهد بذلك الكتاب المبين ،

وأيدته السنة ، وأجمعت عليه الأمة فمن شك فى ذلك فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه.

ولتعلم أن الله سبحانه ، قد عصم رسوله صلى الله عليه وسلم من الكفر ، وأمنه من الشرك ، كما باعد بينه وبين الشيطان الرجيم ، ومنحه الشجاعة التى لا يخشى بها صولة العرب ، ولا يتهيب بها جبروت المعاندين — لا سيما فى مثل هذا ، من أمور الوحى والتبليغ والاعتقاد ، بل هو المنزّه عن ذلك فعلا واعتقاداً ، وأنه لا يصدر عنه ما يخالف الوحى لا قصداً ولا غلطا ولا سهواً ، بطريق من الطرق. وأنه صلى الله عليه وسلم على هدى (وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) وقال (قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ) وقال (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) فمن جوز عليه صلى الله عليه وسلم تعظيم الأوثان فقد كفر ، لأنه من المعلوم بالضرورة ، أن مبعثه صلى الله عليه وسلم ، انفى الأوثان وتوهين شأنها ، وتحقير عبّادها ، وأنه ما كان يمكنه فى أول البعث أن يصلى أو يقرأ القرآن عند الكعبة آمناً أذى المشركين له ولا يعقل أن يمدح آلهتهم ، أو يقول على الله ما لم ينزل عليه من القرآن ، ولا أن يجعل ما ليس قرآنا قرآناً ، أو يلتبس عليه

القرآن بغير القرآن، فلا يفرّق بين النور والظلام ؛ ولو جوّزنا ذلك، لارتفعت الثقة بالشرائع السماوية، وتطرّق الوسواس إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهذا مستحيل فى حقهم لعصمتهم من الوسوسة — قال تعالى (إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) وهذه العصمة تلزمنا القطع بأنه يستحيل على نبينا عليه الصلاة والسلام أن يزيد فى القرآن ما ليس منه ؛ قال تعالى (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) ويستحيل عليه صلى الله عليه وسلم، أن يختلط عليه التوحيد بالشرك، حتى لا يفرّق بينهما، مع علمه صلى الله عليه وسلم، أن هذه الأصنام جمادات لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ولا تشير ولا تنطق ولا تنصر ولا تشفع قال تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنْكَ شَيْئًا) فما ذُكر من حديث الغرانيق كذب شنيع لا ينبغى أن يتساهل فى نسبته إلى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يصح أن يشتبه عليه ما يلقيه الملك المعصوم بما يلقيه الشيطان الرجيم، وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يكون على غير بصيرة بما يوحى إليه ، مع أنه ما جاء إلا لتبليغ الدين

ونشره. فالواجب على كل مؤمن الإعراض عن مثل هذه الأساطير المختلفة لإحداث الرّيب فى الدين وأن يضرب بها عرض الحائط ، وأن يعتقد فى الرسول الكريم : كل مايجب له من كمال العصمة، وارتقاء درجته صلى الله عليه وسلم إلى غاية ليس فوقها غاية .

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم
واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

مخالفة التفسير الصحيح لهذا الحديث

التفسير الصحيح، الذى ينطبق على صدق القرآن الكريم والعصمة النبوية، ويناسب سياق الآيات التى جعل المفسرون هذا الحديث سببا النزولها — والله يعلم أن تفسيرها يتوقف على ثبوت أصل لهذا الحديث الباطل ، سنلقيه عليك ، فاسمع مايبهر لبّك ويشرح صدرك على سبيل الإيجاز والله الموفق للصواب .

قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ، فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ

قلوبُهُمْ ، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ . وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ، فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قلوبُهُمْ ، وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الذِينَ آمَنُوا الَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم)

التمنى معناه حب الشىء — والخاطر الذى يكون فى مصلحة الرسالة : وهو هداية القوم إلى الطريق السوى . وهذا عام فى كل نبى ورسول — إذ كل رسول ونبى يتمنى لأمته الإيمان الصحيح ويحبّه لهم ، بل ويحب لهم الخير والرشد والنجاح والصلاح ، ويرغب فيه ويحرص عليه غاية الحرص ويعالجهم عليه أشد المعالجة .

وما محمد صلى الله عليه وسلم إلا رسول من الرسل ، يخاطبه مولاه يا محمد إنك لا تهدى من أحببت فما أرسلنا قبلك رسولا ونبياً إلا وحاله أنه إذا أحب شيئاً لأمته وبلّغهم آيات شرعه الرّبانى ، ألقى الشيطان فى قلوب قومه الشّبه والتخيّلات ، قال تعالى: (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيجَادِلُوكُمْ) وقال : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِى بَعضهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً)

والنبى صلى الله عليه وسلم كجميع إخوانه من الأنبياء

والرسل للكرام ؛ قد تمنى هداية قومه وإيمانهم ليخرجهم من ظلمات ما هم فيه إلى نور ما جاء به صلى الله عليه وسلم ؛ وأنه أحرص الناس على إيمانهم وتصديقهم برسالته منه إلى طعامه وشرابه ومأواه ؛ قال تعالى: (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) وقال (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) وقال: (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) ، وقال: (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) إلى غير ذلك من الآيات البيّنات

والشيطان الخبيث يلقى الوساوس والشبه فى قلوب المطالبين بالإيمان والتصديق بالرّسالة جميعاً ؛ بما يخالف أمنية الرسول صلى عليه وسلم التى تمنّاها لقومه ليسلبهم الانتفاع بالدين ويجعلهم من حزبه (أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) وينصب فى سبيل هدايتهم شراكه وحبائله ؛ حتى يضل بوساوس كفره قلوب الكافرين ؛ والمعاندين قصد فتنتهم ؛ إلا أن الله جلت قدرته ؛ ينسخ ما يلقيه الشيطان من قلوب السعداء الذين هداهم وآتاهم العلم والإيمان ؛ ليطهر قلوبهم من الرّجس ، فيؤمنوا بالحق على ما هو حق لاشك فيه ويثبت فى قلوبهم صحيح الإيمان ويحكم الآيات الدّالة على الحقيقة

إحكاماً، قال تعالى: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ) وقال: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) فكيف بالنبي المعصوم (وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ) فمن آمن قد حفظه الله من الشيطان (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ورفع من طريق إيمانهم الحواجز المنصوبة وأزال تلك العقبات الموضوعة ليعلم الذين آمنوا أن ما جاء به كل نبي ورسول هو الحق القويم، والدين المستقيم، فيقولوا آمنا به كل من عند ربنا (وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) وهذه الشبه والوساوس التي ألقاها الخبيث، تبقى في عقول مرضى القلوب، وأهل الشك والنفاق وزعماء الباطل، وقساة الطباع، لتكون فتنة لهم وضلالا مبيناً، وعذاباً أليماً (إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ

النار) وبئس القرار (قُلْ لِلذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) على أن الله سبحانه قد نزه كلامه عن كل دخيل، وحفظه من التغيير والتبديل، فقال: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) وقال: (قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي. إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ) وقال (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ، وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا. وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) فهذا دلالة قاطعة على أن الله سبحانه ثبت نبيه صلى الله عليه وسلم عما كانت تصبو إليه نفوس أعدائه فلم يكن خليلا ولم يكن عند زعمهم مما يقطع بالبطلان — قال (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى).

من ذلك تعلم أن أسباب النزول المزعومة لهذه الآيات غير صحيحة، وأنه لا علاقة لها مطلقا بهذا الحديث الذى يتنافى وعصمة الرسل والأنبياء فى تبليغ ما أنزل إليهم (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا

بَلغْتَ رِسَالَتَهُ) فلم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحيد عن أمر ربه .

والناظر فى هـذه الجمل التى زيّفهـا المزيفون المزعوم ورودها على لسان حضرة المعصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدها متنافرة النظم متناقضة الفواصل ، إذ تختلف طرقها وتتباين ألفاظها ؛ فقائل — تلك الغرانيق العلى — وآخر يقول الغرانقة العلى ، ومنهم : يروى ، إن شفاعتهن ترتجى ، من غير ذكر الغرانيق ، وراوٍ يقول : إنها لمع الغرانيق ، ومنهم من يقول : وإن هن لهن الغرانيق ، إلى غير ذلك من هذا الاختلاف النابى عن البلاغة العربية ، المضطرب بين الآيات القرآنية غاية الاضطراب ، بعض نظمه يخذل بعضا ويكر عليه نقضا وهدما لأنه بعيد الالتئام ، ممتزج المدح بالذم حيث يجعل الأحجار مرجوّة الشفاعة وقت أن يحكم الله بأنها لا شأن لها ، إذ يقول : (تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى إِنْ هِىَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) . مما لا يسلم به عقل عاقل بل ويقضى عليه بالوهن والسقوط (وإن هو إلا حديث خرافة) فالعاقل يقطع بأنه حديث مفترى ، لا يقبله العقل المنطق الذى يفرّق بذوقه السليم بين هذه الجمل المريفة ، وبين آيات القرآن

الحكيم ، قال تعالى : (وَلَوْ كانَ مِنْ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اختِلافًا كثيراً) . ولكن لاعقل لهم ولا ذوق عندهم .

فهذا ما أردنا بحثه وتوضيحه بالأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة التى لا تخفى على أدنى متأمل فكيف بملوك البلاغة وأمراء الكلام ، فتمسك به واحرص عليه تفز مع الفائزين ، وإنها لكبيرة إن اعتقدت بما افتراه المفترون ، وأعداء الدين ، ونسبوه بهتانا إلى النبي الكريم ، ولصقوه ظلما بالدين السليم المحفوظ من التغيير والتبّديل هدانا الله وإياكم إلى الطريق السوى ، ورزقنى وإياكم والعاملين الفوز والسّداد ، إنه سميع مجيب اللهم إنى بينت وأوضحت والحمد لله رب العالمين — (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّاب) وصلى الله على سيدنا محمد المعصوم الطاهر المطهّر وعلى آله وصحبه والتابعين وعلينا معهم يا رب العالمين آمين .

مجازى محمد خليل

أول جمادى الأول سنة ١٣٥٨

كلمة حق

أحمد الله الذى جعل لى حظ الاطلاع على هذا الكتاب المبارك ، أثناء طبعه ، فكان حقاً على أن أعلن ما قام بنفسى من أثر ذلك الاطلاع .

فالحق أقول ، وهو أنه خير كتاب فى موضوعه جمع ما يهم كل مسلم أن يكون على بينة من أمر الإسراء والمعراج ورؤية المولى جل وعلا ، والهجرة النبوية الميمونة وقصة الغرانيق .

وقد دل ذلك الكتاب القيم ، على ما لمؤلفه حضرة الأستاذ الجليل حجازى محمد خليل ، من سعة الاطلاع ودقة الفهم وبعد النظر ، فقد أحاط بأطراف هذه الموضوعات التى اتسع فيها الخلاف قديماً وحديثاً ، ويقدمها حضرته اليوم لأبناء الإسلام ثمرة يانعة ، نتيجة لبحوث طال مداها ، فطاب جناها .

وللاستاذ المؤلف فوق هذا كتب قيمة ، منها :

(١) مناقب أم المؤمنين السيدة عائشة الصديقية رضى الله عنها .

(٢) مناقب سيدتنا الزهراء بضعة المصطفى صلى الله عليه وسلم

(٣) مسند السيدة عائشة مشتملا على كل ماروته عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم .

obeikandl.com

وكل أولئك بقدرة علمية لا تجارى وبحوث واسعة لاتمارى . فلله دره ، وجزاه مولاه أحسن جزاء وأعانه على طبعها خدمة للإسلام والمسلمين .

ولا يفوتنى أن أعطى حضرة السيد محمود حموده الخضرى أفندى ونجله حضرة عبد المنعم أفندى الشاب النشيط حقهما فى الثناء لقيامهما بطبع هذا الكتاب فى أسرع وقت مع أوفر راحة .

ولا ننسى ما لجميع العمال والقائمين بالطبع حظهم من الثناء ؟

فى ١٧ من رجب سنة ١٣٥٨ محمد هبر النحيمى

مضامين الكتاب

١ ــ المعجزة
٢ ــ الاسراء
٣ ــ نعيم رؤية الحق
٤ ــ الهجرة
٥ ــ الغرانيق

الفهرس

	صفحة
المقدمة	٣
المعجزة	٧
تعريف المعجزة	٨
الاسراء ــ مادة اللغة	١١
حديث الاسراء	١٢
أدلة القرآن	١٤
أدلة النبوة	١٥
شرح الأدلة	٢٢
الاسراء	٢٦
ثناء الأنبياء	٣٢
حديث النبي بالمسرى	٣٤
نعيم رؤية الحق فى الدنيا	٤٩
رأى السلف ــ مناقشته	٥٢
فى الآخرة	٧٣
الهجرة ــ مادة اللغة	٧٨
التاريخ	٨١
الهجرة	٨٢
حديث الغرانيق	٩٩
الغرانيق	١٠١
عصمة القرآن	١٠٧
منافاة الحديث للعصمة النبوية	١٠٨
كلمة حق	١١٧
الفهرس	١١٩

obeikandl.com

تصويب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣١	٣	أدها	أداها

obeikandl.com